



العدد الحادي والعشرين

ذو الحجة ١٤٣٩ هـ

أيلول / سبتمبر ٢٠١٨ م

MAGAZINE
BOUHOUTH

رئيس مجلس الإدارة

الشيخة ميسون القاسمي

المدير العام: د. ناصر الفضلي

رئيس التحرير: د. عبد الملك الدناني

مدير التحرير: د. محمد عبد العزيز

مجلة

بحوث

مجلة علمية محكمة ربع سنوية

تصدر عن مركز لندن للبحوث والدراسات والاستشارات

الرئيس الفخري: سمو الأميرة منال آل سعود

ISSN 2313-1004

مقالات علمية محكمة



LONDON

+442033044839

Hot Line

+447766666016

conference@scrllondon.com
info@scrllondon.com

www.scrllondon.com

المجلة ضمن تصنيف



معامل التأثير رقم

1.5 - 247



@scrllondon2



@scrllondon



SCR London

هيئة التحرير



د. ناصر الفضلي
المدير العام



أ. د. شبير الحرازي
نائب رئيس التحرير



د. عبد الملك الدناني
رئيس التحرير



د. محمد عبد العزيز
مدير التحرير



د. ثناء عبد الودود



د. وسن الصالح
مدير التدقيق



د. صلاح الدين عامر



د. مازن الخيرو



د. محمد شرف



أ. إسلام العزيز



أ. محمد الصوابي



بحوث

مجلة علمية محكمة ربع سنوية

تصدر عن مركز لندن للاستشارات والبحوث

العدد الحادي والعشرين

(ذو الحجة ١٤٣٩ هـ - أيلول/سبتمبر ٢٠١٨ م)

هيئة التحرير

المدير العام

د. ناصر الفضلي

فريق العمل

د. مازن الخيرو

مستشار المراجعة

د. صلاح الدين عامر

الكويت

د. ثناء عبد الودود

العراق

د. محمد شرف

اليمن

أ. إسلام العزیز
مواقع التواصل

رئيس التحرير

د. عبد الملك الدناني

نائب رئيس التحرير

أ. د. شبير الحرازي

مدير التحرير

د. محمد عبد العزيز

مدير التدقيق

د. وسن الصالح

مدير الموقع

أ. محمد الصوابي

<http://www.scr london.com>

<http://www.scr-magazine.com>

conference@scr london.com
info@scr london.com



@scr london2



@scr london



SCR London

الهيئة العلمية الاستشارية ٢٠١٨

د. شومة بنت محمد بن مساعد الفاضلي/السعودية
أستاذ البلاغة والنقد، جامعة تبوك

د. عبد الملك ردمان الدناني/اليمن
أستاذ الاتصال المشارك، جامعة الإمارات للتكنولوجيا

د. سعاد مطر/فرنسا
أستاذ الإعلام والاتصال، جامعة العين

د. صلاح الدين عامر/اليمن
محاضر / وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت

د. أميرة محمد دهام/كردستان - العراق
دكتوراه تربية رياضية، أستاذ مساعد، جامعة كويه

د. مازن موفق الخيرو/العراق
أستاذ مساعد البلاغة القرآنية، جامعة الموصل

د. عماد مطير الشمري/العراق
تاريخ وجغرافية، المستنصرية/الجامعة

د. أسماء جابر علي مهران/مصر
أستاذ مساعد علم اجتماع، جامعة أسيوط

د. ربيع عبد الرؤوف عامر/مصر
أستاذ مساعد التربية الخاصة، جامعة الملك خالد (السعودية)

د. هنادي الحملي/الكويت
محاضر غير متفرغ كلية الدراسات التجارية التعليم التطبيقي

د. إبراهيم الخضر/السودان
عميد كلية التربية، جامعة إفريقيا العالمية

د. نهى بنت سعيد أسعد نقيطي/السعودية
أستاذ مشارك تصميم وفتون، جامعة الملك عبد العزيز

د. فواز موفق ذنون/العراق
مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل

د. مهرة آل مالك/الإمارات
استشاري علم نفس، جامعة عجمان

د. محمد شرف محمد هاشم/اليمن
عضو هيئة تدريس، منتدب جامعة الكويت

د. ثناء عبد الودود عبد الحافظ/العراق
أستاذ مساعد علم نفس تربوي، جامعة بغداد

Dr. Alexander c.m d

PhD in theology at the University of
Birmingham, UK/Birmingham

Dr Anita moors

London research center.Uk/London

د. إنعام يوسف محمد (رئيس الهيئة)/مصر
أستاذ مساعد، جامعة عجمان

أ.د. محمد عبد الكريم محافظة/الأردن
عميد كلية الآداب، الجامعة الهاشمية

أ.د. شبير عبد الله الحرازي/اليمن
رئيس جامعة العلوم الحديثة

أ.د. مزنة بنت حزام الشمري/السعودية
أستاذ هندسة الحاسب الآلي
kings college London

أ.د. علا عبد المنعم الزيات/مصر
أستاذ علم الاجتماع، جامعة المنوفية

أ.د. ألفت إبراهيم جاد الرب/مصر
عميد كلية التجارة، جامعة الأزهر

أ.د. محمد أحمد الدوماني/ليبيا
أستاذ الفلسفة وعلم الاجتماع، جامعة المرقب

أ.د. لطيفة إسماعيل قاسم/اليمن
أستاذ الاقتصاد، جامعة صنعاء

أ.د. يعقوب الكندري/الكويت
أستاذ علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، جامعة الكويت

أ.د. أحمد عودة سعود القرارة/الأردن
أستاذ علوم تربوية، جامعة الطفيلة

د. بدرية بنت محمد العتيبي/السعودية
أستاذ علم الاجتماع المشارك، جامعة الإمام
محمد بن سعود

د. وسن صالح حسين الحياني/العراق
أستاذ مساعد اللغة العربية، جامعة بغداد

<http://www.scr london.com>
<http://www.scr-magazine.com>

conference@scr london.com
info@scr london.com



@scr london2



@scr london



SCR London

قواعد وضوابط النشر

١. يجب ألا تزيد مساحة النشر عن ستة آلاف كلمة للبحث شاملة المراجع.
٢. يعد ملخصان للبحث: أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنجليزية، على ألا تتجاوز كلمات كل واحد منهما (٢٠٠) كلمة، ويلى الملخصين كلمات مفتاحية (Words Key) لا تزيد على خمس كلمات (غير موجودة في عنوان البحث) للتعبير عن المجالات التي يتناولها البحث لتستعمل في الكشف.
٣. استخدام طريقة (APA) لتوثيق مراجع البحث العلمي لتعزيز الأمانة العلمية للباحث، كما يجب أن تتضمن المنهجية مشكلة البحث، أهدافه، محدداته - حال وجودها - والدراسات السابقة، الخاتمة وتشمل النتائج والتوصيات.
٤. يراعى عند تكرار المصدر في صفحة ثانية من البحث أن يذكر فقط اسم المصدر ورقم الصفحة أو رقم الصفحة والجزء إذا كان الكتاب أجزاء.
٥. اعتماد أقواس التنصيص الصغيرة "" في حال نقل الكلام من المصدر نصاً، أما إذا تصرف البحث بالكلام المنقول فلا يوضع الكلام بين أقواس ويكتب في الهامش كلمة «ينظر» قبل اسم المصدر.
٦. تكون صيغة الملف المرسل على طريقتين -PDF- و -WORD- ونوع الخط في المتن للبحوث العربية (Arabic Simplified) بحجم (١٤) وللإنجليزية حجم الخط (١١) ونوعه (Times New Roman) على أن تكون العناوين الرئيسة حجم ١٨ والهامش ١٢، وهوامش الصفحة ٢,٥ سم، والمسافة بين الأسطر مفردة، ويكون نوع الخط في الجداول للبحوث العربية (Arabic Simplified) بحجم (١٠) وللبحوث الإنجليزية (Roman New Times) بحجم (٨) كما يراعى في البحث المتضمن جداول وأشكال كتابة رقم الشكل وعنوانه أعلاه ثم مصدره أسفله.
٧. تستخدم الأرقام العربية (Arabic...1-2-3) في جميع ثانيا البحث، على أن يكون ترقيم صفحات البحث في منتصف أسفل الصفحة.
٨. يكتب عنوان البحث واسم الباحث أو الباحثين، والمؤسسة التي ينتمي إليها وسبل التواصل ميل وواتساب، على صفحة مستقلة قبل صفحات البحث، ثم تتبع بصفحات البحث، بدء بالصفحة الأولى حيث يكتب عنوان البحث فقط متبوعاً بكامل البحث.
٩. يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث أو الباحثين في متن البحث صراحة، أو بأي إشارة تكشف عن هويته، وإنما تستخدم كلمة الباحث أو الباحثين عوضاً عن الاسم سواء في المتن أو التوثيق أو في قائمة المراجع.
١٠. يجب الأخذ بعين الاعتبار الترتيب للمراجع، ومراعاة وجود علامات الترقيم من فاصلة ونقطة وغيرها، فبعض المراجع تعتمد الفاصلة في التوثيق وبعضها تعتمد النقطة.
١١. يقدم الباحث موجزاً عن سيرته العلمية باللغتين العربية والإنجليزية وصورة شخصية حديثة، كما يجب أن يضع عنوان بريده الإلكتروني أسفل اسمه مع لقبه العلمي، مدرس، أستاذ مساعد، أستاذ مشارك، إلى غير ذلك من الألقاب العلمية.
١٢. يقدم الباحث الرئيس تعهداً موقعاً منه ومن جميع الباحثين المشاركين إن وجدوا (يفيد بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في جهة أخرى) حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشره في المجلة.
١٣. في حال قبول البحث للنشر تؤول كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقياً أو إلكترونياً، دون إذن كتابي من المدير العام.
١٤. الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
١٥. لهيئة التحرير الحق في تحديد أولويات نشر البحوث.
١٦. تخضع جميع المنتجات العلمية المقدمة للنشر إلى التحكيم العلمي الدقيق من قبل أساتذة مرموقين في مختلف التخصصات.
١٧. يجب أن تستوفى البحوث المرسله مرحلة التدقيق اللغوي الأولي قبل إرسالها إلى إدارة المجلة.
١٨. لهيئة التحرير حق الفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو رفضه، وفي حال قبول لجنة التحكيم له يعلم الباحث شفهاً، ورثما يتم بقية إجراءات النشر يخطر بكتاب رسمي، ثم يدرج البحث في قائمة الانتظار للنشر كل بحسب دوره.
١٩. يتم تقديم البحوث إلكترونياً من خلال بريد المجلة الإلكتروني: عناية مدير التحرير

conference@scrllondon.com - Whatsapp: 0096594448018

<http://www.scrllondon.com>
<http://www.scr-magazine.com>
conference@scrllondon.com
info@scrllondon.com



@scrllondon2



@scrllondon



SCR London

محتويات العدد

- كلمة العدد ٧

- تنمية بعض القدرات البدنية الخاصة للاعبي فعالية القفز بالزانة (النخبة)
بتأثير منهج تدريبي مقترح باستخدام المقاومات (دراسة تطبيقية)

د. أميرة محمد دهام (العراق) ٩

- الدّين والإصلاح، حفريات في الفكر الخلدوني

د. بلحضري بلوفة - د. إسعد فايزة زرهوني (الجزائر) ٢٥

- الحركات الاحتجاجية والاجتماعية في ليبيا بين أزمة الدولة والانشقاقات المجتمعية
دراسة تحليلية سوسيولوجية تاريخية)

أ.د. حسين سالم مرجين (ليبيا) ٤٧

- برنامج إثرائي لتحسين معلمة رياض الأطفال من الآثار السلبية للصدّات النفسية

د. رشا سيد حسين محمد الجندي (مصر) ٦٥

- مشكلة الإمامة في صدر الإسلام

د. هيفاء سليمان الإمام (العراق) ٧٩

كلمة العدد

**القراء الموقرون من الباحثين والباحثات في كل
أنحاء العالم العربي ...**

كلمتنا في مستهل العدد الحادي والعشرين من مجلتكم
«بحوث» تنطوي على ثلاثة معان مهمة.

الأول: مناشدتك أن تتمسكوا بمنهجية البحث العلمي
وآليات تأصيله ليؤدي دوره الحقيقي كأداة لتطور المجتمع.
ونحن نرحب بكافة مقترحاتكم وأفكاركم التي تصب في
هذه البوتقة.

المعنى الثاني: أثرنا في هذا العدد الاستمرار على
نهجنا في تنوع الأوراق العلمية المنشورة، فما بين حديث
عن الحركات الاجتماعية والاحتجاجية وضرورة خروجها
من الأطر الضيقة إلى تلك التي تمتلك مشروع إصلاح
شامل للمجتمع للأستاذ الدكتور حسين مرجين، ومشكلة
الإمامة في صدر الإسلام وكيف رأت الباحثة الدكتورة
هيفاء الإمام، أن الفكر السياسي عند المسلمين بعد العصر
الراشدي نتجت عنه أفكار أججت نيران الفتن، دارت رحى
العدد الحادي والعشرين.

أيضاً لم يخلو العدد من العلوم الرياضية فطافت بنا
الباحثة الدكتورة أميرة دهام، حول كيفية إعداد منهج
تدريبي للاعبين القفز بالزانة باستخدام المقاومات
المتغيرة.

ومن الجزائر جاء الباحثان الدكتور بلحضري بلوفه،
والدكتورة فايزة إسعد، فتناولوا موضوع «الدين والإصلاح،
حضريات في الفكر الخلدوني»، في دعوة لفهم حكمة الله
في خلقه وأكوانه.

وورقة علمية في منحى آخر سطرته الدكتورة رشا الجندي
بعنوان «برنامج إثرائي لتحسين معلمة رياض الأطفال
من الآثار السلبية للصدمات النفسية».

المعنى الثالث: نرى أن البحث العلمي العربي يحتاج
إلى إعادة نظر في كثير من مفاصله، خاصة وأن المنطقة
العربية لديها ثروات بشرية هائلة وشذرات فكرية عميقة
يمكن حال استثمارها وتوفير البيئة المناسبة لها أن تسمو
بمجتمعاتها في مصاف الدول المتقدمة.

والله نرجو في الختام أن تعم الفوائد من النشر العلمي.

دراسة بعنوان

تنمية بعض القدرات البدنية الخاصة للاعبين فعالية القفز بالزانة (النخبة) بتأثير منهج تدريبي مقترح باستخدام المقاومات (دراسة تطبيقية)

د. أميرة محمد دهام - العراق

دكتوراه تربية رياضية، أستاذ مساعد، جامعة كويه،
كلية التربية الرياضية



ملخص البحث

يهدف البحث إلى:

- ١- تنمية بعض القدرات البدنية الخاصة للاعبين فعالية القفز بالزانة (النخبة)
- ٢- إعداد منهج تدريبي باستخدام المقاومات
- ٣- التعرف إلى تأثير المنهج المقترح في تنمية القدرات البدنية الخاصة باستخدام المقاومات للاعبين فعالية القفز بالزانة (النخبة)

أما فروض البحث فكانت: - هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الاختيارين القبلي والبعدي للمجموعتين: الضابطة والتجريبية بتأثير المنهج التدريبي في تطوير القدرات البدنية الخاصة للاعبين فعالية القفز بالزانة (النخبة) وتطرقت الباحثة إلى بعض الدراسات النظرية والمثابة الخاصة بموضوع البحث.

منهج البحث: أما منهج البحث الذي استخدمته الباحثة فهو، المنهج التجريبي (تصميم المجموعتين المتكافئتين ذواتا الاختبارين القبلي والبعدي) لملاءمته طبيعة المشكلة لغرض الوصول إلى النتائج بعد إعداد منهج تدريبي. وأعدت الباحثة منهاجاً تدريباً خاصاً بفعالية القفز بالزانة معتمدة على تجربتها وخبرتها التدريبية والميدانية ومستعينة بأراء المختصين بمجال علم التدريب الرياضي وألعاب القوى وبالمصادر العلمية التدريبية. وطبق المنهج التدريبي على عينة عشيرة لاعبين من لاعبي النخبة للموسم الرياضي (٢٠١٧-٢٠١٨). ووزع أفراد العينة بالطريقة العشوائية وبأسلوب القرعة بواقع أربعة لاعبين للمجموعة الضابطة وأربعة لاعبين للمجموعة التجريبية، واستبعد لاعبان لاستخدامهما التجربة الاستطلاعية،

وقد أجري التجانس لهما. استعانت الباحثة بالمصادر العلمية وخبرتها الميدانية لتحديد أهم الاختبارات الضرورية لقياس بعض القدرات المرتبطة بالظاهرة المراد قياسها، وبناءً على ذلك اختارت الباحثة مجموعة من الاختبارات البدنية الخاصة واختبار الإنجاز لتكون مؤشراً لقياس التطور في المنهج التدريبي المقترح، وقد استندت الباحثة في وصفها للاختبارات على أداء بعض السادة الخبراء في مجال الاختبار والقياس والتدريب الرياضي وألعاب القوى، ولأجل التعرف على الثقل العلمي للاختبارات المرشحة للتطبيق استخرجت الباحثة معامل الثبات والصدق والموضوعية من خلال إجراء التجربة الاستطلاعية على عينة عشوائية من خارج عينة البحث الرئيسة بلغ عدد أفرادها لاعبين من نادي بغداد الرياضي. أجريت الاختبارات القبلية على أفراد عينة البحث باستخدام (تدريبات المقاومة) في فعالية القفز بالزانة. واستخدمت الباحثة الوسائل الإحصائية الآتية في معالجة الدرجات الخاصة التي حصل عليها اللاعب من التجربة من خلال الحقيبة الإحصائية spss:

وبعد عرض وتحليل ومناقشة النتائج توصل إلى الاستنتاجات الآتية:

١- أحدث البرنامج التدريبي الذي نفذ من المجموعة التجريبية تطوراً في إنجاز فعالية القفز بالزانة.

٢- أحدث البرنامج التدريبي الذي نفذ من المجموعة التجريبية تحسناً في جميع القدرات البدنية الخاصة بأداء فعالية القفز بالزانة وهي (القوة الانفجارية، القوة المميزة بالسرعة، الإنجاز) والتي عبرت عنها النتائج المعنوية للاختبارات البعدية.

٣- إن تدريبات القوة بالمقاومة قد حققت تطوراً في الإنجاز وهذا ما أظهرته نتائج الاختبارات البعدية.

٤- إن التطور الذي ظهر في القدرات البدنية الخاصة انعكس إيجابياً على الإنجاز.

٥- إن استخدام تمرينات المقاومة الخاصة لتطوير مستوى أداء فعالية القفز بالزانة أسهمت في تطوير القوة الانفجارية والقوة المميزة بالسرعة وبذلك تحققت أهداف وفروض البحث.

٦- إن استخدام تمرينات المقاومة في فعالية القفز بالزانة طورت العضلات العاملة وأدت إلى تنمية القوة المميزة بالسرعة وتنمية الإنجاز بنفس الوقت.

**Develop some of the special physical abilities of the players of the pole jump
(elite) with the influence of a proposed training course using resistors
(applied studies)**

Prof. Dr. Amira Mohamed Dham/

School Sport Education/University of Koya

Search Summary

The search aims to:

- 1-Develop some of the special physical abilities of the players of the pole jump (Elite)
2. Development of a training curriculum using resistors
3. Recognition of the impact of the proposed approach on the development of physical capabilities for the use of resistors for the (elite) Jumping Power players

The research assumptions were:

There are statistically significant differences between the pre-and inter-communal choices of the two groups: the officer and the pilot with the impact of the training curriculum on the development of the special physical abilities of the players of the pole-jumping (elite), and the researcher touched on some theoretical and similar studies of the subject matter of the research.

Research Methodology

The research methodology used by the researcher is the experimental approach (design of the two equal tribal and post-test groups) to suit the nature of the problem for the purpose of reaching the results after the development of a training curriculum. The researcher has developed a special training course on the effectiveness of the vault, drawing on her experience, training and field experience and drawing on the views of specialists in the field of mathematical training science, athletics and scientific training sources. The training curriculum was applied to a sample of ten elite players for the season Sports (2017 – 2018) The samples were distributed in a random manner and by a drawing of lots by

four players for the group and four players for the experimental group (players were excluded for use in the exploratory experiment and their homogeneity was made. The researcher has used the scientific sources and field experience to identify the most important tests necessary to measure some of the capabilities associated with the phenomenon to be measured. Accordingly, the researcher selected a set of special physical tests and the completion test to be an indicator for measuring evolution through the curriculum Proposed training the researcher described the tests for the performance of some experts in the field of testing, metrology, sports training and athletics. In order to identify the scientific weight of the tests applied to the application the researcher found out the coefficient of constancy, truthfulness and objectivity by conducting the exploratory experiment on a random sample outside the main search sample of 2 players from the Baghdad sports club from outside the search sample, was made Tribal tests on the members of the research sample using (resistance drills) in the efficacy of the pole jump the researcher used the following statistical methods to handle the special grades obtained from the experiment through the statistical bag SPSS:

Following the presentation, analysis and discussion of the results, the following conclusions were reached:

1. The training program implemented by the pilot group has evolved into the effectiveness of the pole-jump.
2. The training program carried out by the experimental group, which was used, has improved all physical capabilities for the performance of the pole-jump (explosive force, force of Speed, achievement) and expressed by the moral consequences of the remote tests.
3. The resistance training force has developed a breakthrough and this has been shown by the results of the after-tests. 4. The development that has emerged in private physical abilities is reflected in the achievement. 5. The use of special resistance exercises to develop the level of performance of the pole jump has contributed to the rapid development of explosive power and distinctive force, thus achieving objectives and assumptions for research. 6. The use of resistance exercises in the efficacy of the pole-jumping has developed the working muscles and has led to the development of the characteristic strength of speed and the development of the achievement at the same time.

١- التعريف بالبحث

- مقدمة البحث وأهميته

لم تعد عملية الوصول إلى المستويات العالمية في الفعاليات الرياضية التي تحقق الفوز على باقي الفرق الرياضية في العالم سهلة المنال سواء كان هذا التفوق في الألعاب الفردية أم الفرقية وذلك لأن المستوى الرياضي في معظم الفعاليات الرياضية قد وصل إلى قمم من الصعب تجاوزها إلا عن طريق بذل المزيد من الجهود في عملية الإعداد والتدريب.

وتعد فعالية القفز بالزانة من الفعاليات الممتعة لما تمتاز به من إثارة وجذب وجمالية عالية في التنافس وتحطيم الأرقام القياسية، وتلعب القدرات البدنية الخاصة للاعب دوراً مميزاً وفعالاً وأساسياً في فعالية القفز بالزانة كونها تتطلب استخدام وسائل تدريبية ذات صفة خاصة تساعد على التطور ومنها استخدام المقاومات، لما له من تأثير مباشر للوصول إلى التكنيك العالي وبالتالي تحقيق الإنجاز. ويشكل المنهج التدريبي ركناً أساسياً وضرورة مهمة في العملية التدريبية؛ لذا فإن الارتقاء بالمستوى الرياضي لا بد من أن يستند إلى أسس علمية صحيحة في وضع المناهج وتطوير عناصر التدريب الرياضي حيث أنها عناصر مترابطة ومتكاملة؛ إذ لا يمكن للرياضي الوصول إلى مراكز متقدمة إن لم يكن هناك تكامل في عناصر اللياقة البدنية.

وتؤدي تدريبات المقاومة دوراً مميزاً وفعالاً وأساسياً في تطوير إنجاز القفز بالزانة فضلاً عن بقية الصفات البدنية والحركية. إن البحث في الطرائق المختلفة والأساليب المتعددة في تحقيق الهدف مهمة لمختلف الألعاب الرياضية وخصوصاً القفز بالعصا (الزانة).

إن استخدام منهج تدريبي مقترح باستخدام المقاومات لتنمية بعض القدرات البدنية الخاصة للاعبين فعالية القفز بالزانة (النخبة) تتطلب استخدام وسائل تدريبية ذات صفة خاصة تساعد على التطور، لكون هذه الوسائل المساعدة لها تأثير مباشر للوصول إلى التكنيك العالي وبالتالي تحقيق الإنجاز. والذي نعتقد بأنه سيسهم في تحقيق إنجازات متقدمة في عراقنا الحبيب.

- مشكلة البحث

على الرغم من عدد الدراسات العلمية التي تناولت فعالية القفز بالزانة إلا أنه ما زال الطموح يراود أفكار المدربين في تحسين مستوى الأداء واكتشاف ما هو جديد مما يخدم اللعبة ويطورها.

تعد فعالية القفز بالزانة من الفعاليات الصعبة التي تتطلب توافقاً حركياً عالياً في جميع مراحلها لأجل أداء تكنيك صحيح يحقق إنجازاً جيداً، ومن خلال معايشة الباحثة للعبة كونها تدرسية لمادة ألعاب القوى ومدربة في الوقت نفسه لاحظت انخفاض مستوى القوة العضلية للاعبين وهبوط مستوى الأداء ومن ثم الإنجاز وقد يكون ضعف القوة القصوى هو أحد أسباب هبوط المستوى.

مما دفع الباحثة إلى التفكير لإيجاد أساليب تدريبية أساسية قد يكون لها تأثير في تطوير بعض الصفات البدنية والحركية وبالتالي الوصول إلى مستويات أفضل ومنها استخدام تدريبات المقاومة وبالشكل الذي يتم فيه توزيع الأحمال التدريبية والتمرينات بصورة دقيقة فأرادت الباحثة معرفة مدى تأثير استخدام منهج تدريبي مقترح بواسطة المقاومات في تطوير بعض القدرات البدنية من خلال توظيف بعض التمرينات الخاصة الذي قد يساعد في رفع مستوى إنجاز الرياضي ولهذا تكون الباحثة قد حاولت المساهمة في وضع بعض الحلول لبناء المناهج التدريبية لفعالية القفز بالزانة.

- أهداف البحث

- التعرف إلى بعض القدرات البدنية الخاصة للاعبين
- فعالية القفز بالزانة (النخبة).
- إعداد منهج تدريبي باستخدام المقاومات المتغيرة.
- التعرف إلى تأثير المنهج المقترح في تطوير القدرات البدنية الخاصة باستخدام المقاومات لتنمية بعض القدرات البدنية الخاصة للاعبين
- فعالية القفز بالزانة (النخبة).

- فروض البحث

هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين الاختيارين القبلي والبعدي للمجموعتين: الضابطة والتجريبية بتأثير المنهج التدريبي في تطوير القدرات البدنية الخاصة للاعبين فعالية القفز بالزانة (النخبة)

- مجالات البحث

- المجال البشري: لاعبو فعالية القفز بالزانة (النخبة) وعددهم (٨) لاعبين.
- المجال الزمني: من ٢٠١٧/١١/١ حتى ٢٠١٨/٢/١.
- المجال المكاني: ملعب وزارة الشباب والرياضة/بغداد.

٢- الدراسات النظرية والمشباهة

الدراسات النظرية

أ- القوة العضلية (مفهومها-أهميتها)

القوة العضلية اصطلاح يستخدم في مختلف المناسبات في حياتنا اليومية والقوة العضلية هي قدرة العضلة على بذل جهد من أجل القيام بحركة معينة وإن اهتمامنا لتطوير هذه القوة لا يأتي فقط عن طريق اهتمامنا بالأنشطة الرياضية وإنما يأتي نتيجة النشاطات التي تمارس يومياً كأساس لتنشيط وحماية وتطوير حركة المفاصل لمداها الطبيعي وإن

أكثر العلماء في هذا المجال حاولوا مجتهدين وضع تعريفات للقوة العضلية، منها هي «قدرة العضلة على إخراج قوة ضد مقاومة ثابتة في انقباض أحادي الزمن غير محدود».

وتزداد أهمية القوة العضلية للإنجاز الرياضي بمقدار المقاومة التي يجب التصدي لها والتغلب عليها في المباريات وتتعاكس القوة العضلية على الإنجاز بشكل مختلف لذلك ارتبطت بمتطلبات كل نوع من الرياضات وبفضلها يتحرك جسم الرياضي وبدون القوة العضلية لا يمكن أن تؤدي أية حركة جسمية، وعند تغيير حجم واتجاه استخدام القوة تتغير السرعة وشكل الحركة، وعندما يغير المرء القوة العضلية لصفة عندها نتكلم على القابلية الجسمية التي تحدد المقاومة الخارجية أو العمل العضلي المعاكس إن المعالجة الخارجية يمكن أن تكون الجاذبية الأرضية التي تتناسب مع وزن الرياضي أو رد فعل الارتكاز عندما تتعرض إلى ضغط، ولقد أثبت العلماء بأن القوة العضلية تتعلق بالمقطع العرضي الفسيولوجي للعضلة ومن خلال الفسلجة الرياضية الحديثة أثبتت بأن درجة الانقباض العضلي تعتمد على عمل الجهاز العضلي المركزي.^(١)

أما أهمية القوة العضلية فقد «تسهم في إنجاز أي نوع من أنواع الأداء للجهد البدني في الرياضات جميعها وتتفاوت نسبة مساهماتها طبقاً لنوع الأداء وتسهم في تقدير العناصر البدنية الأخرى مثل السرعة والتحمل والرشاقة؛ لذا فهي تشغل حيزاً في برامج التدريب الرياضي وتعتبره محدد هاماً في تحقيق التفوق الرياضي في معظم الرياضات».^(٢)

(١) عبد علي نصيف، قاسم حسن حسين؛ تدريب القوة، ط١: (بغداد، دار العربية للطباعة، ١٩٨٧) ص٩.

(٢) مفتي إبراهيم حماد؛ التدريب الرياضي الحديث، تخطيط وتطبيق وقيادة، ط٢: (القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠١)، ص١٦٧.

أنواع القوة العضلية: انطلاقاً من أهمية القوة ولأجل تسهيل تأثيرها قسم الخبراء في مجال علم التدريب القوة إلى الأنواع الرئيسة الآتية:-

١- القوة العظمى أو القوة القصوى.

٢- القوة المميزة بالسرعة.

٣- تحمل القوة.

١- **القوة العظمى:** يمكن تعريف القوة العظمى

(القصوى) «بأنها أقصى انقباض عضلي إرادي

يحدثه الجهاز العصبي والقوة العظمى من أهم

الصفات البدنية الضرورية لأنواع الأنشطة الرياضية

التي تستلزم التغلب على المقاومات والتي تتميز

بارتفاع قوتها كما إن هناك بعض أنواع الأنشطة

الرياضية التي تحتاج إلى قدر كبير من القوة العظمى

مثل رياضة رمي المطرقة والتجديف والقفز»^(٢)

٢- **القوة المميزة بالسرعة:** «حين تقترن القوة

بالسرعة نطلق عليها بالقوة المميزة بالسرعة والتي

يسمونها الكثير من المختصين في مجال التدريب

الرياضي (Power) كمرادف للقدرة الانفجارية

(Explosive power) ومن خلال ذلك يمكن

تعريف القوة المميزة بالسرعة على أنها قدرة

الجهازين العضلي والعصبي للتغلب على مقاومات

خارجية بأعلى سرعة انقباض عضلي ممكن»^(٤)

٣- **تحمل القوة:** إن تحمل القوة قابلية الأجهزة

على مقاومة التعب عند استعمال مستوى القوة لمدة

طويلة وإن تحمل القوة يوصف بأنه قابلية مستوى

القوة العالية نسبياً مع ربطها بقابلية التحمل أنها

تتعين أساساً في الفعاليات التي تتطلب المقاومة

العالية لمدة طويلة كالذي يحدث في بعض الأنشطة الرياضية، إن تحمل القوة يعني في ألعاب التحمل قبل كل شيء حجم معدل وسط وفعالية القوة لكل حركة ثنائية والتي يتعلق تأثير الدفع للأمام بها في كل خطوة وإن تحمل القوة مهم جداً للفعاليات الرياضية التي تتطلب تحذف المسارات الحركية الثلاثية.^(٥)

ب- المقاومات المتغيرة

نحن نعلم أن امتلاك القوة والسرعة يؤدي إلى تطوير القوة الانفجارية والقوة السريعة؛ إذ إن هناك العديد من الرياضيين الذين يتمتعون بقوة عضلية عالية وسرعة كبيرة إلا أنهم غير قادرين على استغلال هذين العنصرين لإنتاج القوة الانفجارية والسرعة.

عرف مفتي إبراهيم المقاومات المتغيرة: بأنها تلك الحركات التي تؤدي ضد مقاومات متنوعة طبقاً للزوايا المختلفة، إذ إن القوة العضلية المبذولة تختلف خلال مدى أداء الحركة^(٦). كما تعني تحويل المقاومة وبثقل الجسم نفسه عن طريق استخدام أوزان مضافة ومتغيرة إلى وزن الجسم وهذا يعطي تدريب المقاومة للمجاميع العضلية التي تنفذ أية حركة عكس اتجاه الجاذبية الأرضية^(٧).

نستنتج مما تقدم: أن كلاً من القوة والمقاومة

تعملان ضد بعضهما البعض والنتيجة تكون لمن يكون

(٥) هارا، (ترجمة) عبد علي نصيف؛ أصول التدريب، ط٢: (الموصل، مطبعة التعليم العالي، ١٩٩٠) ص١٦٤-١٦٥.

(٦) مفتي إبراهيم حماد؛ التدريب الرياضي الحديث (تخطيط، تطبيق، قيادة)، ط٢: (عمان، دار الفكر العربي، ١٩٩٨) ص١٤٦.

(٧) صريح عبد الكريم؛ تأثير تدريبات المقاومة المتغيرة في تحسين الشغل والقدرة لعضلات الرجلين: (مجلة علمية فصلية، جامعة بغداد/كلية التربية الرياضية، المجلد ١٢، العدد الأول، ٢٠٠٣) ص ١٩٣.

(٢) محمد حسن علاوي؛ التدريب الرياضي، مطبعة الأنجلو، ١٩٧٩، ص٩٨.

(٤) بسطويس أحمد؛ أسس ونظريات التدريب الرياضي: (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٩) ص١١٥.

تأثيره أكثر وأشد في الآخر ذلك لأنه كلما زادت نسبة القوة على نسبة المقاومة تحرك المفصل بسهولة وسرعة أكثر وعلى العكس من ذلك كلما زادت نسبة المقاومة كثيراً على نسبة القوة توقف المفصل عن الحركة، إذ عند استخدام مقاومة كبيرة على جزء الجسم يلجأ الإنسان إلى إحداث تكيف في قوة العضلة لكي يستطيع التغلب على قوة المقاومة؛ لذلك فإن تغيير المقاومات في التدريب هو الأساس لتنمية القوة وعلى وفق التغيير في الشد العضلي.

أساليب تطوير القدرات البدنية الخاصة:

استخدام وزن الجسم: وتقسّم تمارين القفز بوزن الجسم إلى: ^(٨)

- القفز العمودي: الحجل إلى الأعلى أو الأمام
برجل واحدة أو كلتا الرجلين.

- القفز الأفقي: هو عملية الدفع السريع والقوي إلى الأمام بكلتا الرجلين أو برجل واحدة أو من رجل إلى رجل أخرى وأخذ مسافة طويلة وسريعة إلى الأمام قدر الإمكان.

استخدام تمارين الأثقال: وتستخدم مجموعات مختلفة من الأثقال كمقاومات إلا أن ذلك يتطلب مراعاة الأمن والسلامة وهذه الأدوات ^(٩):

- قضبان حديدية

- الدمبلص

- كرات طبية

ج- المراحل الفنية للقفز بالعصا (الزانة)

المرنة الفايبركلاس^(١٠)

١. إن المراحل الفنية للقفز بالزانة تتكون من الاقتراب، غرز الزانة، الارتقاء، المرجحة للأعلى (التعلق)، المرجحة الخلفية (التكور الخلف)، الدوران مع الفرد، عبور العارضة، الهبوط.
٢. إن لاعب الزانة الأيمن يمسك الزانة بالقرب من نهايتها باليد اليمنى ويده اليسرى تمسك الزانة على بعد (٥٠ سم) تقريباً أسفل يده اليمنى.
٣. إن لاعب الزانة الأيمن يحمل الزانة على الجانب الأيمن للجسم ويرتقي بالقدم اليسرى.
٤. إن الاقتراب يبدأ من علامة ثابتة ومن وضع الوقوف أو من عدة خطوات تمهيدية.
٥. خفض مقدمة العصا (الزانة) تدريجياً بانسيابية في أثناء ركض الاقتراب.
٦. إن الاقتراب للمتدربين يكون من (١٠-١٢) خطوة أما بالنسبة للأبطال فيزيد حوالي (١٨) خطوة.
٧. إن وضع (غرس) الزانة في الصندوق يبدأ من هبوط الرجل اليسرى على الأرض قبل الارتقاء بدفع العصا (الزانة) للأمام مع تقديم الذراع اليسرى للأمام.
٨. رفع اليد اليمنى للأعلى بسرعة عند لمس الرجل اليمنى للأرض.
٩. ضرورة هبوط قدم الارتقاء لتلامس الأرض بالجزء الأمامي من القدم.
١٠. إن لاعب الزانة يحاول الدفع بالذراع اليسرى للأمام وللأعلى خلال مرحلة التعلق يحتفظ بوضع الارتقاء.
١١. سحب الرجلين باتجاه الصدر في أثناء التكور الخلفي.
١٢. ثني الذراع اليسرى ببطء لتقريب الجسم من الزانة.

(١٠) الاتحاد الدولي للألعاب القوى للهواة، المستوى الأول، المراحل الفنية والخطوات التعليمية للألعاب القوى، مركز التنمية الإقليمية، القاهرة، تأهيل المدربين نظام الشهادات، ١٩٩٤، ص ٦١.

(٨) صلاح راضي أميش؛ تأثير أساليب تدريبية في تطوير القوة الانفجارية لعضلات الأطراف السفلى وعلاقتها بدقة التهديد البعيد وركل الكرة لأبعد مسافة: (أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد/ كلية التربية الرياضية، ٢٠٠٠)، ص ١٣.
(٩) أبو العلا أحمد عبد الفتاح وأحمد نصر الدين؛ فسيولوجيا اللياقة البدنية، ط ١: (مصر، دار الفكر العربي، ١٩٩٢)، ص ١٠٦.

١٣. إنه في نهاية مرحلة التكور الخلفي يكون الظهر بصفة عامة موازياً للأرض المحافظة على موازنة الرجلين (العصا) الزانة.

١٤. يبدأ الدوران في أثناء الشد لكلتا اليدين بالدوران ليسار لمواجهة العارضة بالبطن.

١٥. دفع الجسم بعيداً عن الزانة باليد اليمنى.

١٦. أن يتم الهبوط على الظهر وعند الأداء بشكل صحيح فإنه هبوط اللاعب في منطقة الهبوط.

المنهج التدريبي - مفهومه:

لا يوجد عمل بدون منهج خاص به وعند تنفيذ الأعمال على ضوء المناهج الموضوعية تتحقق الأهداف الموضوعية على ضوء الخطوات المتبعة في المنهج.

ويعد المنهج التدريبي أحد الدعائم الرئيسة التي تركز عليها مجمل العملية التدريبية، إذ هو ركيزة إلى جانب مجموعة من الركائز، وهي «المدرّب واللاعب والإدارة» ومن خلاله يمكن الحصول على أفضل النتائج وتحقيق الإنجازات المنشودة.

ويعرف المنهج بأنه «الطريق الواضح». ويعرفه عبد الحميد بأنه «عبارة عن الخطوات التنفيذية لعملية التخطيط لخطة صممت سلفاً وما يتطلبه ذلك التنفيذ من توزيع زمني وطرائق تنفيذ إمكانيات تحقيق هذه الخطة.

وعليه يتضح لنا أن أهمية إعداد المنهج التدريبي تكمن بوصفه الأساس المتين لمجمل العملية التدريبية البنائية التي تساهم في رفع وتحسين مستوى وقدرات وقابليات اللاعبين البدنية والمهارية والخطئية والنفسية والصحية، وفي مختلف الألعاب الرياضية الفرقية منها والفردية والذي يعمل على الوصول بالرياضي إلى مستوى الإنجاز.

المفردات التطبيقية للمنهج التدريبي:

تمتد عملية بناء المنهج التدريبي في أربع مراحل هي:

أولاً - التحضير

يجب على المدرّب أن يراعي الاعتبارات الآتية عند بناء المنهج التدريبي:

- أن يحدد الغرض والهدف من المنهج التدريبي.
- يجب أن يكون الغرض والهدف ومدى التأثير المراد من الموضوع واضحاً.
- في معظم الأحيان يكون الغرض من مناهج التدريب واحداً أو أكثر.
- التعرف على الرياضيين الذين يعد لهم المنهج بدراسة أي من العوامل ذات الأهمية وذات الصلة التي تؤثر على بناء المنهج.
- مادة المنهج إذ يتم جمع الحقائق والأداء والمعلومات عن الموضوع المراد تحقيقه، هو وضع المعلومات المجتمعة بصورة مختصرة.

ثانياً - الإعداد: يجب مراعاة النقاط الآتية:

- أ- كتابة الغرض من المنهج في جملة واحدة.
- ب- اعتماد ما تم جمعه من حقائق واستبعاد ما كان عديم الفائدة.
- ج- رسم خطة لجمع المعلومات في المجموعات ووضع عنوان لكل مجموعة.
- د- تحديد طريقة تسلسل المجموعات.
- هـ - ترتيب المعلومات والبيانات والأداء وتقع تحت كل مجموعة.
- و- مراجعة عناوين المجموعات والتأكد من أنها واضحة ومختصرة.
- ز- ضرورة استخدام وسائل الإيضاح.

الدراسات المشابهة

دراسة صالح راضي أميش (٢٠٠٠)^(١١)

العنوان (تأثير أساليب تدريبية في تطوير القوة الانفجارية لعضلات الأطراف السفلى وعلاقتها بدقة التهديف البعيد وركل الكرة لأبعد مسافة).

أهداف البحث:

- معرفة تأثير الأساليب التدريبية المختلفة في تطوير القوة الانفجارية لعضلات الأطراف السفلى.
- معرفة أي الأساليب التدريبية أفضل في تطوير القوة الانفجارية لعضلات الأطراف السفلى.
- معرفة علاقة تطور القوة الانفجارية لعضلات الأطراف السفلى في تطور مستوى مهارة ودقة التهديف البعيد.
- معرفة علاقة تطور القوة الانفجارية لعضلات الأطراف السفلى في تطور مستوى مهارة ركل الكرة لأبعد مسافة.

- استخدام الباحث المنهج التجريبي لملاءمته طبيعة البحث. وقد أجرى الباحث الدراسة على عينة من (٤٢) طالباً من طلاب السنة الرابعة، ثم اختارهم قصدياً بعد أن تم استبعاد الطلاب الراسبين والمعلمين ولاعبى أندية الدرجة الأولى بكرة القدم ومثلت العينة نسبة ٥٦٪ من اختصاص كرة القدم بعد ذلك قسم العينة إلى ثلاث مجاميع كل مجموعة (١٤) طالباً تخضع لبرنامج تدريبي خاص.

أهم الاستنتاجات التي توصل إليها الباحث:

الأسلوب المختلط: هو أفضل الأساليب في تطوير القوة الانفجارية لعضلات الأطراف السفلى. إن أسلوب التدريب المختلط (الأنقال والقفز العنيف) في تطوير مهارتي الدقة والتهديف وركل الكرة لأبعد مسافة.

(١١) صالح راضي أميش: تأثير أساليب تدريبية في تطوير القوة الانفجارية لعضلات الأطراف السفلى وعلاقتها بدقة التهديف البعيد وركل الكرة لأبعد مسافة.

ثالثاً- الكتابة: يجب مراعاة ما يأتي عند كتابة الشكل النهائي للمنهج.

الأسلوب:- يجب أن تكون الكتابة بأسلوب واضح وبعيد عن التعقيد.

الترتيب:- يجب مراعاة ترتيب المنهاج وفق الآتي:-

١. اسم المنهج. ٢. مدة المنهج. ٣. أساليب التنفيذ. ٤. الجدول الزمني الخاص بالمنهج. ٥. الوسائل المسموعة والمرئية التي تستخدم. ٦. أساليب التقويم. ٧. تكاليف التنفيذ.

رابعاً- المراجعة: بعد الانتهاء من كتابة مسودة المنهج يستحسن تركها ربما ليوم أو يومين إذا كان الوقت يسمح بذلك، ثم نقدها موضوعياً كما لو كانت من إعداد مدرب آخر فتختبر المسودة كلها سطحياً وينظر إليها نظرة عابرة أولاً ثم نظرة تفصيلية بعد ذلك.

الشروط والمستلزمات الواجب توافرها في بناء المنهج الجيد:

١. أن يحقق التلبية المباشرة للاحتياج الذي أعد من أجله.
٢. أن يلائم مستوى الرياضيين المعد من أجلهم.
٣. أن يراعى فيه مبادئ الأهم فالمهم.
٤. أن يراعى فيه التسلسل المنطقي.
٥. أن يقرر له الوقت اللازم والكافي.
٦. أن يبدأ وينتهي في الوقت المناسب.
٧. أن يراعى فيه التنسيق بين المواد والمدربين.
٨. أن لا يغفل فيه عنصر التنوع لتحقيق الهدف.
٩. التقسيم المنطقي لوحدات التدريب الرياضي.
١٠. أن يراعى فيه تقارب المستوى الرياضي.
١١. استخدام كل الحواس بقدر الإمكان.
١٢. أن يستخدم الإمكانات المتاحة بقدر الإمكان.

أما مدى الاستفادة من أوجه التشابه بين الدراسة الحالية والدراسة السابقة وهي دراسة صالح راضي فهو استخدم المنهج التجريبي وإعداد منهج تدريبي لتنمية وتطوير بعض القدرات البدنية وهي القوة الانفجارية لعضلات الأطراف السفلى لتحقيق الهدف وهو الدقة في التصويب البعيد وركل الكرة لأبعد مسافة، واقتدت الباحثة بالدراسة السابقة وذلك باستخدامها المنهج التجريبي وإعداد منهج ملائم لفعالية القفز بالزانة لتنمية بعض القدرات البدنية الخاصة وكما استخدمتها الدراسة السابقة وهي القوة الانفجارية لعضلات الأطراف السفلى وإضافة الباحثة لتجربتها القوة المميزة بالسرعة للذراع والذراعين وذلك لتحقيق الهدف وهو الإنجاز؛ إذ كان في الدراسة السابقة الحصول على الإنجاز وهو (الدقة في التهديد من البعيد كإنجاز للاعبين كرة القدم) أما الدراسة الحالية فهي لتحقيق الإنجاز بالحصول على مستويات أفضل وهو (الارتفاع)، عن طريق تمارين أعدت لهذا الغرض؛ إذ اعتمدت الباحثة عند تصميم المنهج على التدريب بالمقاومات المتغيرة كما استخدم صالح راضي مقاومات أيضاً.

أما الاختلاف فكان في عدد العينة ونوع العينة بين الدراستين وأيضاً الزيادة في المقاومات والمتغيرات وهي الجذع والذراعين وهو ما يحتاجه قافز الزانة. وهذا في الدراسة الحالية.

٣- إجراءات البحث الميدانية

- منهج البحث: استخدمت الباحثة المنهج التجريبي (تصميم المجموعتين المتكافئتين ذواتا الاختبارين القبلي والبعدي) لملاءمته طبيعة المشكلة لغرض الوصول إلى النتائج، إذ إن «البحث التجريبي تغيير متعمد ومضبوط للشروط المحددة لواقعة معينة وملاحظة التغيرات الناتجة في هذه الواقعة ذاتها وتفسيرها»^(١). وفقاً لطبيعة البحث ومشكلته وأهدافه فقد تم استخدام المنهج التجريبي ذي المجموعتين المتكافئتين (ضابطة وتجريبية).

- عينة البحث: يعد الاختبار الدقيق للعينة عنصراً ومركزاً أساسياً يعتمد عليه الباحث من أجل اختبار فروضه وتحقيق أهدافه، وحتى تكون العينة صحيحة ودقيقة يجب أن تكون ممثلة للمجتمع الأصلي تمثيلاً دقيقاً؛ إذ يجب أن يتوافر في هذا العينة شرط رئيس هو إمكانية تعميم نتائجها على المجموعة الأصلية التي اختيرت منها^(١٢).

تكونت عينة البحث من عشرة لاعبين من لاعبي النخبة للموسم الرياضي (٢٠١٧-٢٠١٨)، ووزع أفراد العينة بالطريقة العشوائية وبأسلوب القرعة بواقع أربعة لاعبين للمجموعة الضابطة وأربعة لاعبين للمجموعة التجريبية (واستبعد لاعبان لاستخدامهما التجربة الاستطلاعية وقد أجري التجانس لهما. ومعامل الاختلاف هو «مقياس تشتت نسبي يستخدم لمعرفة التشتت داخل المجموعة الواحدة وبين المجموعات، وما يميز معامل الاختلاف أنه لا يتطلب توحيد وحدات القياس لأنه يعطي التشتت نسبياً... كلما قرب معامل الاختلاف من (١٪) يعد التجانس عالياً وإذا زاد على (٣٠٪) فهذا يعني أن العينة غير متجانسة»^(١٣)؛ إذ دلت النتائج على تجانس عينة البحث في المتغيرات أعلاه، (ينظر تحذف الجدول (١)).

(١٢) محمد لبيب النجيجي ومحمد منير مرسى. البحث التربوي-أصوله-مناهجه. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٣، ص ١٠٢.

(١٣) وديع ياسين التكريتي ومحمد عبد العبيدي. التطبيقات الاحصائية واستخدامات الحاسوب في بحوث التربية الرياضية. الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩٩، ص ١٦٠ - ١٦١.

جدول (١)

يبين تجانس العينة في المقاييس الجسمية باستخدام معامل الالتواء للعينة بين (١-، ١٠+)

الوسائل الإحصائية	وحدة القياس	الوسط الحسابي	الوسيط	الانحراف المعياري	معامل الالتواء
الطول	سم	١٨٠,٢	١٨١	٢,٣٥	٠,٢١
الكتلة	كغم	٧٨,٨٠	٧٨,٥	٢,٨٦	٠,١٥٤
العمر	سنة	٢٧,٥٥	٢٧,٩	١,٠٢	٠,٠٧٦
العمر التدريبي	سنة	٥,٠٥	٥,٠٨	٠,٧٠	٠,٠٩٨

ثم قامت الباحثة بإجراء اختبارات التكافؤ على أفراد المجموعتين التجريبية والضابطة وذلك باستخدام اختبار (ت) بين المجموعتين. كما موضح بجدول (٢)

جدول (٢)

يبين الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لاختبارات القوة الانفجارية وقيمة (T) المحسوبة والجدولية

ومستوى الدلالة لعينة البحث

الوسائل الإحصائية	وحدة القياس	المجموعة الضابطة		المجموعة المحموعة تدريبات المقاومة		قيمة T المحسوبة	قيمة T الجدولية	مستوى الدلالة
		س	ع	س	ع			
ختبار القوة الانفجارية للذراعين	م/سم	٥,٨٨٣	٠,٠٩٣	٥,٣٣٦	٠,١٠٨	٠,٠٦	٢,٢١	غير معنوي
ختبارات القوة الانفجارية للجزع	زمن	٠,٨٨٦	٠,٤١٠	٠,٤١	٠,٥٣٣	١,٢٥		غير معنوي
ختبار القوة الانفجارية للرجلين	متر	٢,٤٣	٠,٨٧٦	٢,٢٩١	٠,٢١٨	٠,٩٦		غير معنوي
ختبار القوة المميزة بالسرعة	متر	٢٤,٠٩	٠,٥٣٤	٢٤,٠٨	٠,٨٠٦	١,٥٤		غير معنوي
إنجاز	متر	٢,١٠	٠,١٥٤	٢,١٤	٠,٤٣٧	١,٥٦		غير معنوي

عند درجة حرية (٧) واحتمال خطأ (٠,٠٥)

يتضح من الجدول (٢) عدم وجود فرق معنوي بين أفراد عينة البحث وذلك لأن قيمة (ت) الجدولية عند درجة حرية (٧) وتحت مستوى دلالة (٠,٠٥) تساوي ٢,٢١ وهي أكبر من قيمة ت المحسوبة لجميع الاختبارات القبلية وهذا يدل على تكافؤ عينة البحث في القدرات البدنية والإنجاز.

- أدوات البحث

إن أدوات البحث هي «الوسيلة التي يستطيع بها الباحث حل مشكلته مهما كانت تلك الأدوات بيانات، عينات، أجهزة»^(١٤)، وقد استخدمت الباحثة الأدوات الآتية:

- المصادر العربية والأجنبية.
- الملاحظة والتجريب.
- المقابلات الشخصية.

(١٤) وجيه محجوب. طرائق البحث العلمي ومناهجه. بغداد: دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩٣، ص ١٧٩.

اختبار إنجاز القفز بالزانة:

الهدف من الاختبار: قياس إنجاز القفز بالزانة.
الأدوات المستخدمة: ملعب الساحة والميدان، عصا زانة، بساط نوع اسفنجي ضغط عال، استمارة تسجيل.
وصف الأداء: اختبر اللاعبون جميعهم سوية لضمان عنصر المنافسة وقد بدأ الاختبار حسبما يأتي. عند سماع اللاعب الإيعاز بالنداء على اسمه يبدأ بأخذ التهيؤ من البداية يقوم اللاعب بالركض داخل المجال ثم القفز بحمل عصا الزانة من فوق العارضة وقد أعطيت ثلاث محاولات لكل ارتفاع وأخذ أعلى ارتفاع أو إنجاز يحصل عليه اللاعب خلال المحاولات ثم يسجل الإنجاز الذي يحققه اللاعب في استمارة تسجيل خاصة به.

اختبار القوة الانفجارية:

الهدف: قياس القوة الانفجارية (الذراعان، الجذع، الرجلان).
أولاً. الذراعان: دفع كرة طبية زنة (٣ كغم) من أمام الصدر لأبعد مسافة.

- الهدف: قياس القوة الانفجارية للذراعين.
- الأدوات المستخدمة: كرة طبية زنة (٣ كغم)، شريط قياس علامة دالة لتحديد المسافة.
- وصف الأداء: وقوف المختبر وحمل الكرة أمام الصدر ثم دفع الكرة بالذراعين لأبعد مسافة وباقصى سرعة وقوة ممكنة ولمرة واحدة.

= أ. د محمد عبد الحسن - ألعاب قوى، علم التدريب الرياضي، أستاذ متقاعد.
أ. د صريح عبد الكريم الفضلي - ألعاب قوى، بايو ميكانيك، كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة، جامعة بغداد.
أ. د إيمان عبد الأمير - ألعاب قوى، كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة، جامعة بغداد.
أ. د احمد العاني - ألعاب قوى، كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة، جامعة بغداد.
أ. د زينب الجبوري - ألعاب قوى، كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة، الجامعة المستنصرية.

- الاختبارات والقياس.

- استمارة تصميم الاختبارات البدنية التي تعرض على مجموعة من الخبراء.
- بساط اسفنجي بطول مترين وعرض مترين وبسمك ٦٠ سم العدد (٢).
- ملعب زانة قانوني من ناحية القياسات.
- أداة قياس مترية بطول (١٠) أمتار.
- صافرة عدد (٢).
- مساطب خشبية بارتفاع ٤٠ سم عدد (٢).

أما الأجهزة التي استخدمتها الباحثة في البحث:

- جهاز الميزان لقياس الوزن والطول.
- عصا زانة مختلفة الأوزان.
- شريط معدني، شريط لاصق، مصطبات، كراسي للجلوس في أثناء الاختبارات.
- كرات طبية عدد (٢) زنة (٣ كغم).
- ساعة توقيت نوع (Casio) يابانية الصنع.

- خطوات إجراءات البحث الميدانية الاختبارات المستخدمة في البحث:

استعانت الباحثة بالمصادر العلمية وخبرتها الميدانية لتحديد أهم الاختبارات الضرورية لقياس بعض القدرات المرتبطة بالظاهرة المراد قياسها وبناءً على ذلك اختارت الباحثة مجموعة من الاختبارات البدنية الخاصة واختبار الإنجاز لتكون مؤشراً لقياس التطور عن طريقها في المنهج التدريبي المقترح وقد استندت الباحثة في وصفها للاختبارات إلى أداء بعض السادة الخبراء في مجال الاختبار والقياس والتدريب الرياضي وألعاب القوى.^(١٥)

(١٥) أسماء الخبراء: ملحق رقم (١) =

ثانياً. اختبار الجذع (رفع الجذع من وضع الانبطاح على مصطبة مستوية).

١. الهدف من الاختبار: قياس القوة الانفجارية للجذع.

٢. الأدوات المستخدمة: مصطبة مستوية، ساعة توقيت، أقرص بأوزان مختلفة (٢) كغم.

٣. وصف الأداء: يستلقي اللاعب على مصطبة مستوية بحيث يكون الجذع خارج المصطبة ويثبت اللاعب بجلوس أحد أعضاء فريق العمل المساعد على رجله يضع المختبر قرصاً زنة (٢ كغم) خلف الرقبة ويبدأ التمرين بخفض الجذع للأسفل ثم رفعه للأعلى أقصى ما يمكن ويقاس زمن الأداء من لحظة الانخفاض والصعود لأعلى نقطة يصل الجذع إليها.

ثالثاً. اختبار الرجلين (الوثب الطويل من الثبات)

١. الهدف: قياس القوة الانفجارية للرجلين.

٢. الأدوات المستخدمة، ساحة، شريط قياس، خط بداية عرض (٥سم).

٣. وصف الأداء: وقوف ثني ومد الركبتين ثم الوثب إلى أبعد مسافة يكون القياس من خط البداية إلى آخر جزء من الجسم يلمس الأرض ثم يسجل القياس في استمارة خاصة باللاعبين.

رابعاً- اختبار ركض وقفز ٥٠م

قامت الباحثة بتصميم الاختبار الآتي:

١. الهدف من الاختبار: قياس صفة مطاولة القوة المميزة بالسرعة بدنياً.

٢- الأدوات: (١٢) اثنا عشر مانعاً بارتفاع ٤٠ سم، مسطبتان بارتفاع ٤٠ سم، ملعب ألعاب قوى (٢٠×٢٠م)، ساعة توقيت.

٣- مواصفات الأداء: الاختبار عبارة عن خمس مراحل متتالية يؤدي المختبر الواحدة بعد الأخرى حيث:

المرحلة الأولى: الوقوف على خط البداية وعند الإيعاز بالبداية يتقدم خطوتين سريعتين في البداية ومن ثم يبدأ بالقفز بكلتا الرجلين للأعلى من فوق الموانع الموضوعة على شكل خط مستقيم والبالغ عددها (١٠) عشرة موانع بارتفاع (٤٠ سم) لكل مانع موزعة على مسافة (٩م) والمسافة بين مانع وآخر هي (٩٠ سم) ولبمسة واحدة على الأرض عند القفز للأعلى وكلتا الرجلين أي بدون تأخير.

المرحلة الثانية: بعد قفز الـ (١٠) موانع ينطلق المختبر قطعياً بالركض سريعاً مسافة تقدر بـ (١١م).

المرحلة الثالثة: يقوم المختبر بالقفز بكلتا الرجلين للجانبين وبشكل متتال يميناً ويساراً من فوق المسطبة الموضوعة على خط منتصف الملعب وبطول (١٠م) وارتفاع (٤٠سم) إذ يقفز خلالها المختبر (١٢) قفزة.

المرحلة الرابعة: بعدها ينطلق على طول خط منتصف الملعب المتبقية والبالغة (١٠م).

المرحلة الخامسة: يقوم المختبر في المرحلة الأخيرة بتغيير اتجاهه والركض سريعاً باتجاه مانعين بارتفاع (٤٠سم) المسافة بين مانع وآخر (٤م) على شكل دخول سريع والقفز من فوق المانع برجل واحدة والهبوط على كلتا الرجلين والمسافة المقطوعة في هذه المرحلة ١٠م.

التجربة الاستطلاعية

تعد التجربة الاستطلاعية من أهم الإجراءات المطلوبة والضرورية من أجل التعرف على الثقل العلمي الدقيق للاختبارات المرشحة للعمل، ولتلافي الأخطاء والمعوقات التي قد تواجه الباحثة عند تنفيذ التجربة الرئيسية.

وكان الغرض من إجراء التجربة الاستطلاعية ما يأتي:-

- التأكد من صلاحية الاختبارات وإمكانية تطبيقها على العينة المنتخبة ومدى استجابتها لتنفيذ الاختبارات.
- تأشير الأخطاء والمعوقات من أجل تجاوزها.
- تدريب أعضاء فريق العمل المساعد بالقيام بإجراء تنفيذ الاختبارات، وأتقنهم من صحة الاختبارات وتدوين النتائج بما يضمن نجاح العملية التعليمية.
- معرفة قدرة الباحثة على إجراء الاختبارات الخاصة، والتعرف على الوقت المستغرق لإجراء الاختبارات تهيئة متطلبات الحفاظ على صحة وسلامة المختبرين.
- إيجاد الثقل العلمي للاختبارات المرشحة من حيث الثبات والصدق والموضوعية. إذ استخرجت الباحثة معامل الثبات والصدق والموضوعية من خلال إجراء التجربة الاستطلاعية على عينة

عشوائية من خارج عينة البحث الرئيسية بلغ عدد أفرادها لاعبين من نادي بغداد الرياضي من خارج عينة البحث، وقد اوجد معامل ثبات الاختبار بعد تطبيق الاختبارات على العينة ٢٠١٧/١١/٢ ثم أعيد تطبيق الاختبارات نفسها على العينة نفسها بعد مرور أربعة أيام أي في ٢٠١٧/١١/٦. وباستخدام معامل الارتباط البسيط لبيرسون بين درجات القياسين الأول والثاني توصل إلى أن الاختبارات جميعها كانت تتمتع بثبات عالٍ لأن القيم المحسوبة كلها كانت أكبر من القيمة الجدولية البالغة (٠,٦٠٩) عند درجة حرية (٧) ومستوى دلالة (٠,٠٥) وكما موضح في الجدول (٢). ولأجل التأكد من صدق الاختبارات استخرجت الباحثة معامل الصدق الذاتي، وقد تبين أن الاختبارات جميعها تتمتع بدرجات صدق ذاتي عالية بحسب ما موضح في الجدول (٣).

وبغية التعرف على موضوعية الاختبارات المستخدمة قامت الباحثة بحساب قيمة معامل الارتباط البسيط لبيرسون بين درجات الحكمين الأول والثاني، وقد تم التوصل إلى أنها ذات موضوعية عالية لأن القيم المحسوبة كلها كانت أكبر من القيمة الجدولية البالغة (٠,٨٠٩) عند درجة حرية (٧)، ومستوى دلالة (٠,٠٥) وكما موضح في الجدول (٣) أيضاً.

الجدول (٣) يبين صدق وثبات وموضوعية الاختبارات

ت	الاختبارات	وحدة القياس	الثبات	الدلالة	الصدق الذاتي	الموضوعية	الدلالة
١	اختبار القوة الانفجارية للذراعين	متر	٠,٨٢٣	معنوي	٠,٨٦٠	٠,٨٥٦	معنوي
٢	اختبارات القوة الانفجارية للجذع	عدد	٠,٨٨٧	معنوي	٠,٨٤١	٠,٨٤٧	معنوي
٣	اختبار القوة الانفجارية للرجلين	عدد	٠,٨٧٣	معنوي	٠,٨٠١	٠,٨٩٩	معنوي
٤	اختبار القوة المميزة بالسرعة	مسافة	٠,٨١٢	معنوي	٠,٨٢٢	٠,٨١٠	معنوي
٥	الإنجاز	متر	٠,٨٢٦	معنوي	٠,٨٠٨	٠,٨٨٧	معنوي

- التجربة الميدانية

هي تنظيم محكم للظروف والشروط التي يمكن أن تلاحظ فيها ظاهرة معينة لتحديد العوامل المؤثرة في هذه الظاهرة أو المحدثات أو المسببة فعند الاطلاع على المعطيات المستخلصة من التجربة الاستطلاعية أجرت الباحثة التجارب الميدانية كما يأتي:

الاختبارات القبلية

أجريت الاختبارات القبلية على أفراد عينة البحث باستخدام (تدريبات المقاومة) في فعالية القفز بالزانة الساعة الخامسة عصراً في يوم ٢٠١٧/١٢/١٠.

وقد أجريت الاختبارات:

١- الأربعاء ٢٠١٣ / ١٢ / ١٣ اختبار القوة العضلية أولاً (القوة الانفجارية)

٢- الخميس ٢٠١٣ / ١٢ / ١٤ اختبار الإنجاز لكل من (الذراعين، الجذع الرجلين) القوة المميزة بالسرعة.

اعتمدت الباحثة على تحديد مدة الاستشفاء بين الاختبارات عند رجوع النبض إلى الوضع الطبيعي بين الاختبارات البدنية. وقد أجريت هذه الاختبارات جميعها على ملعب وقاعات كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة في جامعة بغداد.

المنهج التدريبي

أعدت الباحثة منهجاً تدريبياً خاصاً بفعالية القفز بالزانة معتمدة في ذلك على تجربتها وخبرتها التدريبية والميدانية ومستعينة بآراء المختصين بمجال علم التدريب الرياضي وألعاب القوى وبالمصادر العلمية التدريبية.

المنهج التدريبي المعد من قبل الباحثة

من أجل تحقيق أهداف البحث أعدت الباحثة منهجاً تدريبياً يرمي إلى تطوير القدرات البدنية الخاصة ومنها مثل القوة الانفجارية والقوة المميزة بالسرعة للجذع والساقين والذراعين والإنجاز، عن طريق تمارين أعدت لهذا الغرض؛ إذ اعتمدت الباحثة عند تصميم المنهج على التدريب بالمقاومات المتغيرة من أجل بيان تأثيرها في تطوير المهارة المختارة وقد استندت الباحثة عند وضعها للمنهج على أداء مجموعة من المختصين والخبراء في مجال التدريب الرياضي وألعاب القوى للاستفادة من آرائهم السديدة وقد استغرقت مدة تنفيذ المنهج التدريبي (٦) أسابيع بواقع ثلاث وحدات تدريبية (أسبوعياً) وبلغ عدد الوحدات التدريبية (١٨) وحدة تدريبية تم تطبيقها في المدة من ٢٠١٧/١٢/١٦ - ولغاية ٢٠١٨ / ٢ / ١، حيث استخدمت الباحثة تنظيم التدريب الدائري باستخدام أسلوب التدريب الفترتي المرتفع الشدة بنسبة (٦٠-٧٥ %) من أقصى ما يستطيع اللاعب تحمله من القوة القصوى وعدد مرات التكرار (١٠-١٢) مرة إذ كان زمن أداء كل تمرين يتراوح ما بين (١٢-١٥) ثا وكانت مدة الراحة بين كل تمرين وآخر (٦٠-٩٠) ثا وبين كل مجموعة وأخرى من (٢-٤) دقائق وكذلك استخدمت الباحثة تحديد شدة التمرين على وفق النسبة المئوية لأقصى ما يستطيع الفرد أدائه لكل تمرين يستخدم خلال المنهج التدريبي.

كما استخدمت الباحثة لكل تمرين المؤشر الخاص في استخدام الشدة القصوى بحسب متطلبات كل تمرين بوضع الشدة المطلوبة بما يناسبها خلال مفردات المنهج التدريبي ويهدف تأمين حدوث التعب «وتميز أيضاً بالجهد العالي والعبء الملقى الممارس وعلى أجهزته المختلفة فضلاً عن تنمية وتحسين كفاءة عمل الأجهزة الوظيفية وتحسين المستوى».

فضلاً عن استخدام الباحثة مبدأ التدرج والتموج في شدة التدريب خلال مدة المنهاج التدريبي غرض التعويض الزائد طول مدة التدريب للمجموعة بعد ذلك اختيرت التمرينات والمدة الزمنية المستغرقة وشدة الأداء الذي يؤدي إلى حصول تفاوتات عند إعداد المناهج التدريبية لها وبلغ عدد التمارين (٢٠) تمريناً لتدريب المقاومة.

وقد اعتمدت الباحثة على خبرتها وتجربتها الميدانية كمدرية وبطلة سابقة بالألعاب بألعاب القوى وبالمصادر واعتمدت على المصادر العلمية وذوي الاختصاص في توزيع هذه التمرينات خلال تنفيذ المنهاج التدريبي لعينة البحث إذ أثبتت الشدة والحجم لكل لاعب بحسب إمكانيته في هذه التمرينات وعدت مدة تنفيذ المنهاج ضمن مرحلة الإعداد الخاص.

الاختبارات البعدية

بعد تطبيق المنهاج التدريبي لتطوير القوة العضلية الخاصة ضمن المدة الزمنية المحددة لها أجرت

الباحثة الاختبارات البعيدة في الساعة الخامسة من عصر يوم الثلاثاء الموافق ٢٤/١/٢٠١٧ بالأسلوب والظروف نفسها التي أجريت فيها الاختبارات القبلية وكما يأتي:

- بتاريخ ٢٤/١/٢٠١٧ اختبار الإنجاز.
- اختبارات القوة العضلية تمت بتاريخ ٢٦/١/٢٠١٧ اختبار القوة الانفجارية لكل من (الذراعين، الجذع، الرجلين) فضلاً عن اختبار القوة المميزة بالسرعة.

الوسائل الإحصائية

استعملت الباحثة الوسائل الإحصائية الآتية في معالجة الدرجات الخاصة التي حصلت عليها من التجربة من خلال الحقيبة الإحصائية SPSS:

- قانون النسبة المئوية
- الوسط الحسابي
- الانحراف المعياري
- معمل الإلتواء
- اختبار (T. Test) للعينات المترابطة
- اختبار (T. Test) للعينات المستقلة

٤- عرض النتائج ومناقشتها

- عرض النتائج

عرض نتائج الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) المحسوبة والجدولية للاختبارات القبلية والبعدية القبلية والبعدية للمجموعة الضابطة

من أجل التعرف على طبيعة نتائج أفراد عينة البحث في الاختبارات البدنية والإنجاز لا بد للباحثة من معرفة متوسط إنجاز العينة في كل اختبار، ولكون الأوساط الحسابية وحدها غير كافية لإعطاء الوصف الدقيق لطبيعة البيانات التي تمثلها، كان لزاماً على الباحثة استخدام مقياس الانحراف المعياري الذي يعبر عن تشتت (التقارب) والتباعد بين قيم مفردات الاختبار والذي يساعد في المقارنة في هذه الاختبارات. والجدول (٤) يبين الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) المحسوبة والجدولية للاختبارات القبلية والبعدية للمجموعة الضابطة.

الجدول (٤)

يبيّن الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) المحسوبة والجدولية للاختبارات القبليّة والبعديّة للمجموعة الضابطة

الوسائل الإحصائية		وحدة القياس	الاختبار القبلي		الاختبار البعدي		قيمة T المحسوبة	قيمة T الجدولية	مستوى الدلالة
			س	±ع	س	±ع			
المتغيرات		م/سم	٥,٨٣	٠,٥٤	٤,٧٦	٠,١٦	٣,٣١	٢,٢١	معنوي
١. اختبار القوة الانفجارية للذراعين		عدد	٨,٩٦	٠,٤١	٧,٤١	٠,٥٣	٣,٧٧		معنوي
٢. اختبارات القوة الانفجارية للجذع		متر	٤,١٣	٠,٨٦	٤,١٠	٠,٦٨	٤,٠٩		معنوي
٣. اختبار القوة الانفجارية للرجلين		متر	٢٤,٦٥	٠,٥٣	٢٦,٩٨	٠,٤٠	٢,٨٤		معنوي
اختبار القوة المميزة بالسرعة		متر	٢,١٠	٠,٣٥	٢,١٦	٠,٢٣	٢,٦٧		معنوي
الإنجاز									

عند درجة حرية (٧) واحتمال خطأ (٠,٠٥)

من خلال ملاحظتنا للجدول (٤) نجد أن قيم الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لكل من الاختبارات القدرات البدنية في الاختبار القبلي للمجموعة الضابطة.

نجد أن اختبار القوة الانفجارية للذراعين قد حصل على وسط حسابي بلغ (٥,٨٣) بانحراف معياري بلغ (٠,٨٣)، أما في الاختبار البعدي فقد بلغت قيمة الوسط الحسابي (٤,٧٦) بانحراف معياري بلغ (٠,٣٦٧)، أما اختبار القوة الانفجارية للجذع فقد بلغ الوسط الحسابي للاختبار القبلي (٣,٧٧) بانحراف معياري (٠,٥٣٣)، أما في اختبار القوة الانفجارية للرجلين فقد بلغ الوسط الحسابي (٤,١٣) بانحراف معياري (٠,٦٨) في الاختبار القبلي أما في الاختبار البعدي فقد بلغ الوسط الحسابي (٢٤,٦٥) بانحراف معياري بلغ (٠,٥٤) وبلغ الوسط الحسابي لاختبار القوة المميزة بالسرعة (٢٦,٩٨) بانحراف معياري (٠,٤٠٦) في الاختبار القبلي أما في الاختبار البعدي فقد بلغت قيمة الوسط الحسابي (٤,٩٨) بانحراف معياري (٠,٥٣٤). وأخيراً بلغ الوسط الحسابي لاختبار الإنجاز (٢,١٠) بانحراف معياري بلغت قيمته (٠,٤٣٧) في الاختبار القبلي أما في الاختبار البعدي فقد بلغت قيمة الوسط الحسابي (٢,١٦) بانحراف معياري (٠,١٥٤) وعند مقارنة قيمة (ت) الجدولية نجدها أكثر من المحتسبة مما يدل على أن الفروق التي ظهرت هي فروق معنوية.

عرض نتائج الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) المحسوبة والجدولية للاختبارات
القبلية والبعديّة للمجموعة التجريبية

الجدول (٥)

يبين الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) المحسوبة والجدولية للاختبارات القبلية
والبعديّة للمجموعة التجريبية

الوسائل الإحصائية /المتغيرات	وحدة القياس	الاختبار القبلي		الاختبار البعدي		قيمة T المحسوبة	قيمة T الجدولية	مستوى الدلالة
		سَ	±ع	سَ	±ع			
١. اختبار القوة الانفجارية للذراعين	م/سم	٦,٥٤	٠,٥٣	٨,٧٤	٠,٤٤	٣,٦٦	٢,٢١	معنوي
٢. اختبارات القوة الانفجارية للجذع	عدد	٨,١٧	٠,٤٨	١٢,٧٦	٠,٥١	٣,٠٨		معنوي
٣. اختبار القوة الانفجارية للرجلين	متر	٢١,١٨١	٠,٨٦	٣٠,٢٩	٠,٧٤	٣,١١		معنوي
٤. اختبار القوة المميزة بالسرعة	متر	٢٤,٢١	٠,٥١	٢٨,٨٨	٠,٤٤	٢,٥٤		معنوي
الإنجاز	متر	٢,١٠	٠,٣٥	٢,٣٣	٠,٢٣	٢,٥٦		

عند درجة حرية (٧) واحتمال خطأ (٠,٠٥)

وبلغ الوسط الحسابي لاختبار القوة المميزة بالسرعة للاختبار القبلي للمجموعة التجريبية (٤,٢١٢) بانحراف معياري (٠,٥١)، أما في الاختبار البعدي فقد بلغت قيمة الوسط الحسابي (٢٨,٩٨) بانحراف معياري (٠,٤٤).

وأخيراً بلغ الوسط الحسابي لاختبار الإنجاز في الاختبار القبلي (٢,١٠) بانحراف معياري بلغت قيمته (٠,٣٥) أما في الاختبار البعدي فقد بلغت قيمة الوسط الحسابي (٢,٣٣) بانحراف معياري (٠,٢٣) وعند مقارنة قيمة (ت) الجدولية جدول (٥) يبين الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية وحجم العينة وقيمة (T) المحسوبة والجدولية في الاختبارين القبلي والبعدي للمجموعة الضابطة والتجريبية المقاومة وللاختبار وللإنجاز نجدها أكثر من المحتسبة مما يدل على أن الفروق التي ظهرت هي فروق معنوية.

ومن خلال ملاحظتنا للجدول (٤) نجد أن قيم الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لكل من اختبارات القدرات البدنية في الاختبار القبلي للمجموعة الضابطة فنجد أن اختبار القوة الانفجارية للذراعين قد حصل على وسط حسابي بلغ (٦,٥٤) بانحراف معياري بلغ (٠,٥٣)، أما في الاختبار البعدي فقد بلغت قيمة الوسط الحسابي (٨,٧٤) بانحراف معياري (٠,٤٤).

أما في اختبار القوة الانفجارية للجذع فقد بلغ الوسط الحسابي للاختبار القبلي (٨,١٧) بانحراف معياري (٠,٤٨) أما في الاختبار البعدي فقد بلغت قيمة الوسط الحسابي (١٢,٧٦) بانحراف معياري (٠,٥١).

وفي اختبار القوة الانفجارية للرجلين فقد بلغ الوسط الحسابي (٢١,١٨) بانحراف معياري بلغ (٠,٦٨) في الاختبار القبلي أما في الاختبار البعدي فقد بلغ الوسط الحسابي (٣١,٢٤) بانحراف معياري بلغ (٠,٧٤).

عرض نتائج اختبار الإنجاز للمجموعة الضابطة التجريبية (التي استخدمت تدريبات المقاومة) وتحليلها ومناقشتها

جدول (٦)

يبين نتائج اختبار الإنجاز للمجموعة الضابطة والتجريبية (التي استخدمت تدريبات المقاومة)

المجموعة	نوع الاختبار	وحدة القياس	الاختبار القبلي		الاختبار البعدي		قيمة T المحسوبة	قيمة T الجدولية	مستوى الدلالة
			س	ع $\pm$	س	ع $\pm$			
المجموعة الضابطة	الإنجاز	م/س	٢,٢٠	٠,٩٣	٢,٢٥	٠,٨٥	٣,١٢	٢,٤٣	معنوي
أفراد عينة البحث التي استخدمت تدريبات المقاومة	الإنجاز	م/س	٢,٢٢	٠,٧٣٢	٢,٤٠	٠,٦٣	٤,٣٢	٢,٤٣	معنوي

عند درجة حرية (٧) واحتمال خطأ (٠,٠٥)

ومن خلال ملاحظتنا للجدول (٦) نجد أن قيم الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لكل من اختبارات القدرات البدنية للمجموعة الضابطة قد حصل على وسط حسابي بلغ (٢,٢٠) بانحراف معياري بلغ (٠,٩٣)، أما في الاختبار البعدي فقد بلغت قيمة الوسط الحسابي (٢,٢٥) بانحراف معياري (٠,٨٥)،

أما في اختبار الإنجاز نجد أن قيم الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لكل من اختبارات القدرات البدنية للمجموعة التجريبية التي استخدمت تدريبات المقاومة قد حصل على وسط حسابي بلغ (٢,٢٢) بانحراف معياري بلغ (٠,٧٣) أما في الاختبار البعدي فقد بلغت قيمة الوسط الحسابي (٢,٤٠) بانحراف معياري (٠,٦٣) وبما أن القيمة الجدولية أكبر من المحتسبة لذا فإن الفروق التي ظهرت هي فروق معنوية.

عرض نتائج اختبار الإنجاز للمجموعة الضابطة التجريبية في اختبار الإنجاز ونسبة التطور

الجدول (٧)

مقارنة نسبة التطور في الأوساط الحسابية بين المجموعتين الضابطة والتجريبية

في اختبار الإنجاز ونسبة التطور

المجموعة	الاختبار	وحدة القياس	الوسط الحسابي في الاختبار القبلي	الوسط الحسابي في الاختبار البعدي	نسبة التطور
المجموعة الضابطة	الإنجاز	م/سم	٢,٢٠	٢,٢٥	٤٠,٩٦%
المجموعة التجريبية	الإنجاز	م/سم	٢,٢٢	٢,٤٠	٣٠,٩%

نلاحظ من خلال الجدول (٧) التطور الذي طرأ على الضابطة قد بلغ (٤٠,٩٦%) التي استخدمت المنهج المعد من قبل المدرب في حين بلغت نسبة التطور للمجموعة التجريبية التي تدرت بالمقاومة وللأختبار نفسه (٣٠,٩) نتيجة تطبيق المنهج التدريبي في اختبار الإنجاز.

مناقشة النتائج

عن طريق ما عرض من نتائج البحث في الجداول رقم (٤-٥-٦) اتضح أن هناك فروقاً معنوية للمجموعتين الضابطة والتجريبية للاختبارات البعدية إلا أنها في المجموعة الضابطة كانت أقل تطوراً وذلك لأنها لم تتعرض لأي متغير خارجي أو برنامج خاص، بل استمرت في التدريب على المنهج التقليدي المتبع ضمن وحداتها.

وتعزو الباحثة سبب ذلك إلى التمارين المستخدمة في المنهج التدريبي والموضوعة على أسس علمية قد أثبتت فاعليتها وأثرها في تطوير القدرات البدنية عن طريق النتائج التي حصلت عليها الباحثة؛ إذ استخدمت الباحثة (كرات طبية بأوزان مختلفة، ودمبلصات) فضلاً عن جميع التمارين التي تمت على وفق أسس علمية بالاعتماد على آراء الخبراء ونظريات التدريب واستخدام شدد وتكرارات مختلفة استوت طيلة مدة تطبيق المنهج التدريبي أدى إلى تحسن القوة لديهم وهذا ناتج عن زيادة قدرة العضلات على الانقباض بمعدل أسرع عند أداء الفعالية.

ف عند ملاحظة اختبار القدرات البدنية لصفة القوة نلاحظ أن أفراد عينة البحث قد حققوا نسباً عالية بينما لم تحقق المستويات الأخرى النسب المقررة لها، وتعزوها الباحثة ذلك التفاوت في النسب المتحققة إلى الفروق الفردية فيما بين لاعبي عينة البحث؛ إذ أسهمت روح المنافسة التي سادت الاختبارات بشكل كبير في تفوق بعض أفراد عينة البحث التجريبية على زملائهم في أداء تلك الاختبارات؛ إذ أن الفروق الفردية تعني «التباين والاختلاف في القدرات البدنية والحركية والعقلية. إن المنافسة تظهر تباين الأفراد فمنهم من يتميز

بأداء مهارات صعبة جداً لا يستطيع غيرهم فعلها، أو يتميز أفراد آخرون بحل أعقد المسائل العقلية التي لا يستطيع الآخرون حلها»^(١٦)، أما عينة المجموعة الضابطة فعلى الرغم من تحقيقها للفروق المعنوية إلا أنها لم تصل لمستوى المجموعة التجريبية وتعزو الباحثة سبب ذلك إلى عدم احتواء المناهج التدريبية على مفردات تمارين تخص تطوير تلك الصفة من حيث احتفاظ اللاعب بالقوة المميزة بالسرعة لأطول مدة زمنية ممكنة دون حصول هبوط حاد في مستوياتها ومحاولة الحفاظ على ذلك طيلة زمن الأداء إذ إن أغلب اللاعبين يتميزون بأعمار تدريبية لا تقل عن خمس سنوات في مرحلة المتقدمين، ومن البديهيات المعروفة في مجال علم التدريب الرياضي والتعلم الحركي أنه كلما زاد العمر التدريبي للاعب كلما أسهم ذلك في زيادة خبرته وتطور مستواه المهاري والبدني معاً في حالة التدريب المستمر والمنظم وبصورة علمية، ومن الملاحظ للاعبين عينة البحث أن أغلب اللاعبين الممثلين لأندية دوري النخبة لا تقل أعمارهم التدريبية كمعدل وسط عن خمس سنوات وأن الوجوه الشابة والجديدة التي تبرزها تلك الأندية قليلة جداً بسبب ضعف القاعدة لتلك الأندية، إذ إن «العمر التدريبي له دور كبير في ظهور الفروق الفردية فنلاحظ هناك علاقة بين قدرات واستعداد المتعلم وعملية التعلم، إذ إن كل لاعب له مستوى مختلف من اللياقة البدنية وفي الخبرة وكلما زاد عدد سنوات التدريب أثر ذلك في مستوى اللياقة البدنية والقدرة على العمل»^(١٧).

(١٦) وجيه محجوب. التعلم وجدولة التدريب، بغداد: مكتب العادل للطباعة الفنية، ٢٠٠٠، ص ٢٨٩.

(١٧) بيترج. ل. تومسون. المدخل إلى نظريات التدريب، ترجمة مركز التنمية الاقليمي، القاهرة: ١٩٩٦، ٧/٥، ص ٨٤.

والنتيجة الطبيعية لذلك هو تطور المستوى المهاري نتيجة «لتطور المستوى البدني». كذلك راعت الباحثة التدرج في صعوبة التمارين بما يخدم النشاط الحركي وهدفه. وهذا يتفق مع رأي ريسان خريبط (إن التدريب الفردي مرتفع الشدة وفترات قصيرة هو أفضل الطرق لتطوير القدرات البدنية)^(١٨)؛ إذ إن تطور القدرات البدنية الخاصة أدى إلى تطور التوافق في الأداء العضلي-العصبي، والاحساس بالحركة عن طريق زيادة عدد التكرارات، وأداء التمارين بمسار مركب مشابه بالأداء الحركي للمهارة بحيث تعمل على تطوير الجانب البدني والمهاري في الوقت نفسه الذي انعكس بدوره إيجابياً على مستوى الأداء المهاري ودقته وهذا ما تؤكد (هارة) من أن التمارين التي تؤدي يجب أن تحتوي جزءاً من مسار حركة الفعالية التي تقل فيها عضلة أو عدة عضلات عند أداء الحركات المطلوبة^(١٩).

وكذلك تعزو الباحثة تطور الدقة إلى سبب تطور المجاميع العضلية العاملة عن طريق تطوير (القوة الانفجارية والقوة المميزة بالسرعة) وهذا ما أكدته (وجيه محبوب) من أن الوصول إلى الدقة الحركية في الألعاب الرياضية لا بد أن تتوفر فيها القوة الحركية^(٢٠).

ويتضح من الجدول (٦) والنتائج التي يوضحها أن هناك فروقاً معنوية بين الاختبارين القبلي والبعدي للمجموعتين الضابطة والتجريبية التي تدربت بالمقاومة بالرغم من ظهور فروق معنوية للمجموعتين لكن مستوى التطور للمجموعة

التجريبية كان أفضل وتعزو الباحثة سبب هذا التطور إلى وحدة المنهاج التدريبي؛ إذ كان العمل به يجري باستخدام أسلوب المقاومة للمجموعة التجريبية وهو أسلوب تدريبي ناجح ومؤثر وقابل للتطبيق ومفيد بنحو عام لما يتضمنه من تمرينات متنوعة ومحددة بما يتناسب مع متطلبات الفعالية وكذلك استخدام الشدة بحسب مفردات المنهاج لكل رياضي بما يتناسب سعة وحدة الراحة المحددة بين التكرارات والمجاميع وباستخدام الوسائل التدريبية التي تجعل من هذه الوسيلة بعيدة عن الوسائل السابقة في التدريب فهي وسيلة حديثة وممتعة للرياضيين عند تطبيق هذا النوع من التدريب باستخدام كل من تدريبات المقاومة وهذا ما يفسر التطور الحاصل للمجموعة التجريبية في اختبار الإنجاز من خلال تطور القوة الانفجارية كما إن «تدريبات المقاومة هي إحدى الوسائل الأكثر فعالية في تطوير القوة العضلية الخاصة التي تفرض على الجسم جهداً عالياً وخاصة على العضلات والأوتار والمفاصل العاملة ولهذا السبب يجب إن يتأقلم الجسم بالتدرج على هذا النوع من التمرينات عن طريق البدء بالتمرينات الأقل شدة والأكثر شدة»، ويؤكد (قاسم المندلاوي ومحمود عبد الله الشاطي) «أن الأحجام التدريبية والشدة والراحة يتضمنه التدرج في تدريبها وتؤدي إلى زيادة في تطوير الصفات البدنية الخاصة بالإنجاز».

وبما أن الباحثة قد استخدمت التمرينات التي تكون مشابهة للأداء خلال الوحدات التدريبية أدى ذلك إلى حدوث هذا التطور حيث تشير المصادر العلمية إلى أن أداء التكرارات بالشكل الجيد والنسب العلمية الصحيحة تؤدي إلى زيادة في الإنجاز. كما إن المنهج التجريبي عندما استخدمته الباحثة كانت بمساعدة بعض الأدوات وهذا ما أدى إلى تطوير القوة العضلية الخاصة بفعالية القفز بالزانة. وهذا ما اتفقت عليه هذه الدراسة مع دراسة (عبد العزيز أحمد النمر) «من خلال إمكانية تطوير القوة الانفجارية».

(١٨) ريسان خريبط، (واخرون)؛ تأثير طرق التدريب على المطاولة الخاصة: المؤتمر العلمي الثالث، كلية التربية الرياضية، الموصل، ١٩٨٧) س ١٧٠.
(١٩) هارة؛ أصول التدريب، ترجمة عبد علي نصيف: (الموصل، مطابع التعليم العالي، ١٩٩٠) ص ١٧٦.
(٢٠) ووجيه محبوب؛ التعلم وجدولة التدريب الرياضي: (عمان، دار وائل للطباعة والنشر، ٢٠٠٠) ص ١٤٥.

- الاستنتاجات

بعد عرض وتحليل ومناقشة النتائج تم التوصل إلى الاستنتاجات الآتية:

١- أحدث البرنامج التدريبي الذي نفذ من المجموعة التجريبية تطوراً في إنجاز فعالية القفز بالزانة.

٢- أحدث البرنامج التدريبي الذي نفذ من المجموعة التجريبية التي استخدمت تحسناً في جميع القدرات البدنية الخاصة بأداء مهارة القفز بالزانة وهي (القوة الانفجارية، القوة المميزة بالسرعة، الإنجاز) والتي عبرت عنها النتائج المعنوية للاختبارات البعدية.

٣- إن تدريبات القوة بالمقاومة قد حققت تطوراً في الإنجاز وهذا ما أظهرته نتائج الاختبارات البعدية.

٤- إن التطور الذي ظهر في القدرات البدنية الخاصة انعكس إيجابياً على الإنجاز.

٥- إن استخدام تمارين المقاومة الخاصة لتطوير مستوى أداء فعالية القفز بالزانة أسهمت في تطوير القوة الانفجارية والقوة المميزة بالسرعة وبذلك تحققت أهدافاً وفروضاً للبحث.

٦- إن استخدام تمارين المقاومة في فعالية القفز بالزانة طورت العضلات العاملة وأدت إلى تنمية القوة المميزة بالسرعة وتنمية الإنجاز في الوقت نفسه.

- التوصيات

من خلال نتائج البحث أوصت الباحثة بمايلي:

١- ضرورة اهتمام المدربين بالمقاومات المتغيرة لتنمية عضلات الذراعين والرجلين والجذع.

٢- إجراء دراسات مشابهة لمعرفة قدرات بدنية أخرى غير التي تطرقت لها الباحثة.

٣- العمل على تطوير الصفات البدنية وتطويرها لأهميتها في تطوير الحركات الخاصة بمراحل الأداء.

٤- التركيز على تحديد نقاط الضعف وتصحيحها في أثناء تطبيق تمارين الأداء على القفز.

٥- ضرورة إجراء دراسات مشابهة على فعاليات القفز الأخرى.

٦- ضرورة التأكيد على أن يكون استخدام تمارين المقاومة مشابهة للأداء المهاري من حيث مشاركة العضلات العاملة وتطويرها لدى لاعبي فعالية القفز بالزانة.

٧- التأكيد على تمارين المقاومة عند وضع الخطوة التدريبية المتعلقة بالإعداد البدني للرياضيين عبر مراحل التدريب المختلفة وذلك لما تفرضه هذه التمارين من تأثيرات على المفاصل وأنسجة الجسم بحيث تكون ملائمة مع مراحل التدريب.

٨- الاهتمام بمرحلة الإعداد العام والخاص في التدريب على القوة العضلية بأنواعها لأنها الأساس في تطوير المهارات الأساسية في القفز بالزانة.

ملحق رقم (١)

أسماء الخبراء: ملحق رقم (١)

- أ. د. محمد عبد الحسن - ألعاب قوى - علم التدريب الرياضي - أستاذ متقاعد.
- أ. د. صريح عبد الكريم الفضلي - ألعاب قوى - بايوميكانيك - كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة - جامعة بغداد.
- أ. د. إيمان عبد الأمير - ألعاب قوى - كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة - جامعة بغداد.
- أ. د. أحمد العاني - ألعاب قوى - كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة - جامعة بغداد.
- أ. د. زينب الجبوري - ألعاب قوى - كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة - الجامعة المستنصرية.

ملحق (٢)

أنموذج وحدة تدريبية

أنموذج لعرض المنهاج التدريبي (تطوير القوة الانفجارية)

الأيام	العضلات العاملة	نوع التمارين	زمن الأداء/ثا	التكرار	شدة	الراحة من التكرارات	المجاميع	الراحة بين المجاميع
السبت	رجلان	(الوقوف) قفزات سريعة بالرجلين معاً بوزن الجسم ١٤ م.	٣٠	٥	٨٠٪	٩٠ ثا	٣	٩٠ ثا
	ذراعان	(الوقوف- مسك الدمبلص) قذف الذراعين يميناً يساراً.	٣٠	٥		٩٠ ثا	٣	٩٠ ثا
	الجزع	(الوقوف فتحاً-مسك الكرة) ضغط الجزع أمام أسفل.	٣٠	٥		٩٠ ثا	٣	٩٠ ثا
الاثنين	رجلان	(الوقوف-الشفث على الكتف) ثني ومد الرجلين.	٢٠	٤	٨٥٪	٦٠ ثا	٣	٩٠ ثا
	ذراعان	(جلوس القرفصاء-الكرة أمام الصدر) دفع الكرة أماماً مع استقامة الجسم.	٢٠	٤		٦٠ ثا	٣	٩٠ ثا
	الجزع	(الوقوف-القدم أماماً-مسك الكرة) قتل الجزع جانباً مع تبديل القدم.	٢٠	٤		٦٠ ثا	٣	٩٠ ثا

الأربعاء	رجلان	(الوقوف-الشفث على الكتف) أداء حركة القفز.	١٠	٢		٦٠ ثا	٣	٩٠ ثا
ذراعان		(الوقوف-مسك الشفت أمام الصدر) ثني ومد الذراعين أمام الصدر.	١٠	٣	٩٠٪	٦٠ ثا	٣	٩٠ ثا
الجدع		(الوقوف-مسك الدمبلص بذراع واحدة) ثني الجذع للجانبين بالتعاقب.	١٠	٢		٦٠ ثا	٣	٩٠ ثا

مفردات المنهج التدريبي للمجموعة التجريبية التي تدرب بالمقاومة (ت) القوة المميزة بالسرعة

الأسابيع واليوم والتاريخ	الوحدة التدريبية	نوع التمرين	الشدة	التكرار	المجاميع	الراحة بين التكرار	الراحة بين المجاميع
السبت	١	وضع الاستناد الأمامي يقوم الزميل برفع الرجلين والمشي على اليدين لمسافة ٢٠ م.	٦٠٪	١٠	٢	٦٠-١٠٠ ثا	٢٠-٣٠ ثا
الاثنين	٢	الوقوف على المتوازي الواطئ وسند الرجلين على الحائط ثني ومد الذراعين.		٨			
		الاستناد على المتوازي العالي ثني ومد الذراعين مع بقاء الرجلين متدلية.		٦			
الأربعاء	٣	تسلق الحبال مع بقاء الرجلين متدلية للأسفل.		٤			
		الاستناد على المتوازي العالي ثني ومد الذراعين مع بقاء الجسم بزاوية قائمة.		٤			

المصادر

- ١- محمد حسن علاوي؛ التدريب الرياضي مطبعة الانجلو، ١٩٧٩.
- ٢- محمد لبیب النجیحی ومحمد منیر مرسى. البحث التربوي - أصوله - مناهجه. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٣.
- ٣- ريسان خريبط، (وآخرون)؛ تأثير طرق التدريب على المطاولة الخاصة: (المؤتمر العلمي الثالث، كلية التربية الرياضية، الموصل، ١٩٨٧).
- ٤- عبد علي نصيف، قاسم حسن حسين؛ تدريب القوة، ط١: (بغداد، دار العربية للطباعة، ١٩٨٧).
- ٥- هارة؛ أصول التدريب، ترجمة عبد علي نصيف: (الموصل، مطابع التعليم العالي، ١٩٩٠).
- ٦- هارا، (ترجمة) عبد علي نصيف؛ أصول التدريب، ط٢: (الموصل، مطبعة التعليم العالي، ١٩٩٠).
- ٧- أبو العلا أحمد عبد الفتاح وأحمد نصر الدين؛ فسيولوجيا اللياقة البدنية، ط١: (مصر، دار الفكر العربي، ١٩٩٢).
- ٨- وجيه محجوب. طرائق البحث العلمي ومناهجه. بغداد: دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩٣.
- ٩- الاتحاد الدولي للألعاب القوى للهواة، المستوى الأول، المراحل الفنية والخطوات التعليمية للألعاب القوى، مركز التنمية الإقليمية، القاهرة، تأهيل المدربين نظام الشهادات، ١٩٩٤.
- ١٠- بيتر ج. ل. تومسون. المدخل إلى نظريات التدريب، ترجمة مركز التنمية الإقليمية، القاهرة: ١٩٩٦.
- ١١- مفتي إبراهيم حماد؛ التدريب الرياضي الحديث (تخطيط، تطبيق، قيادة)، ط٢: (عمان، دار الفكر العربي، ١٩٩٨).
- ١٢- بسطويسى احمد؛ أسس ونظريات التدريب الرياضي: (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٩).
- ١٣- وديع ياسين النكريتي ومحمد عبد العبيدي. التطبيقات الاحصائية واستخدامات الحاسوب في بحوث التربية الرياضية. الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩٩.

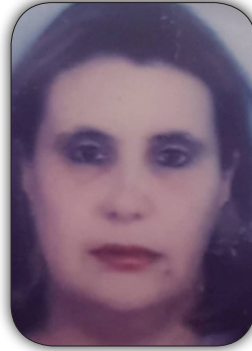
- ١٤- صلاح راضي أميش؛ تأثير أساليب تدريبية في تطوير القوة الانفجارية لعضلات الأطراف السفلى وعلاقتها بدقة التهديد البعيد وركل الكرة لأبعد مسافة: (أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد/كلية التربية الرياضية، ٢٠٠٠)،
- ١٥- وجيه محجوب. التعلم وجدولة التدريب، بغداد: مكتب العادل للطباعة الفنية، ٢٠٠٠.
- ١٦- وجيه محجوب؛ التعلم وجدولة التدريب الرياضي: (عمان، دار وائل للطباعة والنشر، ٢٠٠٠).
- ١٧- مفتي ابراهيم حماد؛ التدريب الرياضي الحديث، تخطيط وتطبيق وقيادة، ط٢: (القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠١).
- ١٨- صريح عبد الكريم؛ تأثير تدريبات المقاومة المتغيرة في تحسين الشغل والقدرة لعضلات الرجلين: (مجلة علمية فصلية، جامعة بغداد /كلية التربية الرياضية، المجلد ١٢، العدد الأول، ٢٠٠٣).

الدين والإصلاح، حضريات في الفكر الخلدوني

د. بلحزري بلوفة - الجزائر

أستاذ محاضر «أ». جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم
mr.wise21@yahoo.fr

د. إسعد فايزة زرهوني - الجزائر

أستاذة محاضرة «أ». جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم
zerhounifaiza@yahoo.fr

Abstract:

Perhaps through the tremendous momentum of the codes and works that have been classified in Ibn Khaldun's writings and studies, we realize that the book was not merely a book of scrolls. It was a legacy of Arma, in which the author was preoccupied with the problems of the meeting and the issues of philosophy, politics and history. How not? It is the inheritance that has become a material for others because they are interested in research in the convergence of ideas and the study and analysis in dealing with the functions of the terms he established, especially in the subject of religion and social reform.

Keywords: Religion; reform; Mental politics and legitimate politics.

الملخص باللغة العربية

لعلنا من خلال الزخم العرم للمدونات والمؤلفات التي صُنّفت في شأن العلامة ابن خلدون وكتابات درسا وتحليلاً؛ ندرك أن ما كتبه العلامة لم يكن مجرد لفافات أوراق دونت ترجماته وحلّه وترحاله شرقاً وغرباً، وإنما كانت إرثاً مستطيراً غاص من خلاله صاحبه في مشكلات الاجتماع وقضايا الفلسفة والسياسة والتاريخ. كيف لا؟ وهو الإرث الذي شكل مادة سائغة للمتأخرين من العلماء والمفكرين من بعده؛ وجعلهم يغوصون للبحث في تلافيف أفكاره والتعامل مع وظائف المصطلحات التي أرساها مسترسلين فيها بالدراسة والتحليل؛ لا سيما في منطلقات سؤال الدين والإصلاح الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الدين، الإصلاح، السياسة العقلية والسياسة الشرعية.

سيكون بمثابة مادة التحليل والعينة التي استرعت انتباهنا في خضم ما تكلم حوله ابن خلدون في كتاب المقدمة لاسيما في فصل «أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة» ضمن الفصل الثاني من الكتاب الأول حول «ال عمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الأحوال». علاوة على ما ورد في «فصل أن الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وأنها مؤذنة بفساده» بالفصل الرابع من الكتاب الأول حول «البلدان والأمصار وسائر العمران وما يعرض ذلك من الأحوال».

وإذا كان لا بد من قراءة موضوعية؛ لا نروم بها كساد بضاعة المتاجر الأنطولوجية بما في ذلك الغربية منها، فإن عرض وجهة نظر تتكئ على فكرٍ إصلاحي اجتماعي وسياسي ضمن ردهات الفكر الإسلامي، ستقودنا دون شك إلى التنقيب في خصائص الأتون القائمة بين عدد من المدارس على اختلاف مشاربها. كما أنه لا يمكن لنا أن نستشرف رؤية بناءة بالرجوع إلى الحقيقة المطلقة التي لا يمكن أن تكون في وحي هبط من السماء. إنه ليس فقط؛ أنموذجاً صالحاً لمجتمعنا الإسلامي؛ وإنما هو أنموذج مطب للمجتمعات قاطبة.

أهداف البحث

من جملة الأهداف التي نتوخاها في عرض موضوع الدين والإصلاح عند ابن خلدون أين المبتدأ؟ التعبير ناقص والربط هنا ضعيف؛ فإن الأمر يتعدى بسط الرؤية التي جادت بها قريحة العلامة؛ إلى عرض الآليات التي تضبط العلاقات الإنسانية وسبل إحقاق الأمن والسلم بديلاً عن العنف في إصلاح الأحوال والمشكلات الاجتماعية والسياسية وغيرها

تتدفق شأبيب الكلام في ذؤابة تنوع الأبحاث ضمن ردهات موضوع الإصلاح الاجتماعي الذي ألهم المفكرين على اختلاف مللهم ونحلهم؛ بدافع قوي للبحث عما يمكن أن يطيب المجتمعات من المشكلات الاجتماعية والرَّسوخ بها نحو بر فيه من الأمان بما يحقق استقرارها ويحفظ أمنها ويدراً عنها الأضرار والفوضى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي ترزح فيها. ولعل الكلام في هذا الشأن؛ سيستطيل دون شك للحديث عن أحد أساطين وجهابذة الأقاليم والفكر الذي لم يكن خلال مسيرته المفعمة بالتجارب اليومية والعلمية والفكرية ليغفل عن معالجة ما كان يعيشه المجتمع الإسلامي من أضرار اجتماعية وهي في منتهى الفوضى السياسية إبان القرن الثامن للهجرة وما قبله ببضع سنين. إنه بدون شك؛ العلامة ابن خلدون الذي ضمت لفاقات مؤلفاته ذخيرة معرفية امتدت إلى موضوع التاريخ والاجتماع والسياسة والاقتصاد.

إشكالية البحث

لعلنا من خلال الزخم الهائل للمدونات والمؤلفات التي صنفت في شأن ابن خلدون وكتاباتة درسا وتحليلاً، ندرك بأن ما كتبه العلامة لم يكن مجرد لفاقات أوراق دونت تُرجماته ورحلاته شرقاً وغرباً، وإنما كانت إرثاً عرماً غاص فيه صاحبه في مشكلات الاجتماع وقضايا الفلسفة والسياسة والتاريخ. كيف لا؟ وهو الإرث الذي شكل مادة سائغة للآخرين لأن يهموا للبحث في تلافيف أفكاره والاسترسال بها بالدراسة والتحليل في التعامل مع وظائف المصطلحات التي أرساها لاسيما في موضوع الدين والإصلاح الاجتماعي. هذا الموضوع الذي

شبكة المفاهيم

- الدين: في ضوء الحديث عن منطلقات

سؤال الدين، فإن المرجعية الإسلامية في فكر العلامة ابن خلدون تدعونا إلى استخلاص مدى أهمية التأصيل الإسلامي لنظرياته المنطلقة من الاعتبار الدينية المستلهمة من التصور القرآني والأحاديث النبوية الشريفة في قضايا الاجتماع والسياسة وهلم جرا من الحقول. ولا شك أن المرجعية الدينية الإسلامية الحاضرة في خطاب ابن خلدون قد وافته بقبس معرفي أخذ منه التشريع الإسلامي جزءاً مهماً في استقرائه وتحليله للتجارب التاريخية واليومية التي عايشها. فالدين الإسلامي ليس مجرد عقيدة تعبدية فحسب، وإنما يمتد تشريعه إلى مدد علوي قادر على تقديم دليل سلوكي في المعاملات، وقادر على التأسيس لنظام اجتماعي يضمن استمراريته.

- الإصلاح: يضعنا مفهوم الإصلاح أمام

زوايا متعددة من المعالجات، فلعلنا نروم به تارة؛ ذلك البعد الدلالي بما ينم عن آليات تطبيب المجتمعات من المشكلات الاجتماعية والسياسية ويهيئ لها الأمن والاستقرار. ولعلنا نروم به تارة أخرى بسط توجهات مختلف النظريات على اختلاف مشاربها بما في ذلك التيارات الغربية في تعاطيها لموضوع الإصلاح وآلياته، إلى جانب مصفوفة الفكر العربي الإسلامي. ولعلنا نروم به كرة ما يستدعيه الفعل الإصلاحي من مداخل ضمن خطاب ابن خلدون سواء على مستوى الإنسان والمجتمع أم على المستوى السياسي في خضم جوهر الرسالة المحمدية. وفي كل الأحوال؛ فإن الإصلاح تشريعاً وتنفيذاً، له آدابه ومنطلقاته بما يعلو بشأن الأمم ويحقق مبدأ الاستقرار فيها.

من مشكلات التفاعل البشري. ولا شك أن هذا المطلب يتطلب تحكيم القانون الإلهي، لا بشيء؛ إلا لأن علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وعلاقة الإنسان بالأشياء، وعلاقة الإنسان بالكون، مرتبطة أيما ارتباط بعلاقة الإنسان بالله، وبمعنى آخر؛ بالدين الذي ارتضاه الله. وأن الدين الإسلامي يتجاوز مجرد عرض عقيدة ليمتد إلى قوانين سلوكية ونظام للإنسان في الأرض وما بعد الاستخلاف.

وقبل الاسترسال في تفكيك تنوعات التراكيب التي تتكئ عليها إشكالية الدين والإصلاح عند ابن خلدون، كان لزاماً علينا أن نقف وقفة تدبر تحليلنا إلى الكشف عن أهم المعالم التي تتبني عليها هذه الإشكالية وبسط عدد من التساؤلات الفرعية لاسيما فيما يتعلق بمطلب الإجابة عن سؤال الدين والإصلاح. إذا؛ فمن ذا الذي سينير لنا الدرب في غمرة تضارب المذاهب وهي تؤسس لموضوع الإصلاح؟ بلا شك؛ إنه واحد ممن ولدوا من بطون الفكر الإسلامي. إنه العلامة ابن خلدون.

تساؤلات البحث

- من هو ابن خلدون؟
- ما معنى الإصلاح والبعد الإصلاحي في خطابه؟
- ما الدين الذي يرومه العلامة في عملية الإصلاح؟
- ما أهم المداخل التي تستدعيها عملية الإصلاح في خطاب ابن خلدون؟
- على أي مستوى يكون الإصلاح من منظور العلامة؟
- ما آداب ومنطلقات الإصلاح الحاضرة في فكر العلامة ابن خلدون؟

وإننا لمدعوون كرة أخرى لنقف وقفة تدبر ثانية لعرض شبكة المفاهيم التي أرسيناها وبسط عراها. كيف لا؟ وهي التي تعد أركاناً أساسية يفرضها نسق التحليل على شاكلة مفهوم الدين، الإصلاح، السياسة العقلية والسياسة الشرعية.

- السياسة العقلية والسياسة الشرعية: ما من شك أن ثمة ضرباً من ضروب الاختلاف بين الأخذ بالسياسة العقلية والأخذ بقوانين المشرع الإسلامي المفروضة من الله. فبالنظر إلى السياسة العقلية أو الوضعية؛ فإن مبلغ الإصلاح بها يتلخص في منطلقات مادية والتي قد أظهرت قصورها النظري والعملي الذي لم يرق بعد إلى فهم المسار التطوري للمجتمعات بما في ذلك مسار المجتمعات الإسلامية. وبالنظر أيضاً إلى القوانين المفروضة من الله عز وجل؛ فإنها تمنح للجانب العقائدي والروحي والأخلاقي والقيمي أهمية يتحقق من خلالها مقصد تحقيق الرباط والتماسك والاتئلاف والاجتماع. فالسياسة العقلية وإن كان مرامها إصلاح دنيا الناس، فإن السياسة الشرعية تدعو إلى إصلاح دنيا الناس والسهر والحفاظ على حوائج العامة في دينها ودنياها ومآلاتها.

أولاً- إطلالة على ابن خلدون

يحتفظ الفكر الاجتماعي بأسماء لمفكرين وعلماء لم يزل ذكرهم مخلداً بسجل التاريخ إلى يومنا هذا، ولعل أبرز هؤلاء المفكرين؛ العلامة عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر ابن خلدون الحضرمي، المولود في أول رمضان عام ٧٣٢هـ الموافق لـ يوم ٢٧ مايو ١٣٣٢م بتونس^(١). ينحدر العلامة من أسرة معلومة بالنفوذ والجاه، فضاؤها العلم والفقه. تعلم اللغة العربية على يد والده في بداية تعلمه، وأسهم في صقل معارفه اللغوية والأدبية عدد من الأساتذة والشيوخ أمثال: إمام النحو الشيخ أبي عبد الله محمد بن العربي الحسايري، وأبي عبد الله محمد بن الشواش الزرزالي، وأبي العباس أحمد بن القصار، وأبي عبد الله محمد بن بحر^(٢)، أي تمكن من ناصية اللغة العربية وعرك مداخلها نطقاً

وكتابة وعلماً. كما تدرج في التعلم؛ فحفظ القرآن الكريم على القراءات السبع، كان ذلك على يد شيخه أبي عبد الله محمد بن سعد بن بُرّال الأنصاري، وقرأ الحديث على شمس الدين أبي عبد الله محمد بن جابر بن سلطان القيسي الوادياشي، وأخذ الفقه عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله الجباني، وأبي القاسم محمد القصير، وأبي عبد الله محمد بن عبد السلام^(٣). علاوة على أخذه للعلوم العقلية من منطق وعلوم حكمية عن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلي ما يربو عن ثلاث سنين.

عُرف ابن خلدون كما هو دأب النجباء؛ بسعة الاطلاع ودقة الملاحظة وتقبل الرأي المخالف لرأيه، كما عرف بالحِلِّ والتّرحال بين مدن شمال أفريقيا، حيث قاده ترحاله إلى بسكرة وغرناطة وبجاية^(٤) وتلمسان وبلاد المغرب والأندلس ثم إلى مصر التي مكث بها ما يربو عن ربع قرن^(٥)، هنالك أخذت منه وظائف التدريس والقضاء أكبر قسط من وقته وجهوده^(٦). ولقد ألهمه كل ذلك من أن يكتسب فيضا من المعارف والعلوم والتعرف على أحوال الناس والملوك والسلاطين. تخرّج العلامة ابن خلدون من جامعة الزيتونة، وتدرج في البلاط من بلاد المغرب والأندلس إلى مصر متقلدا قضاء المالكية في زمن السلطان برقوق. ولم يلبث أن ينقطع إلى التدريس، حتى ساوره الرجوع إلى أصل ما كان عليه أجداده من حب للتأليف والتدوين، فهم إلى تصنيف مدونات عدة، منها ما يصنف ضمن المدونات الكبرى، ومنها ما يصنف ضمن المؤلفات الصغرى، فكتب في هذه الأخيرة «لباب المحصل في أصول الدين»^(٧)، و«تقييد المنطق»، و«كتاب في الحساب»، و«شرح رجز في أصول الفقه للسان الدين بن الخطيب»، و«شرح البردة»، و«شفاء السائل لتهذيب المسائل». أما عن

المدونات الكبرى؛ فقد رصد لنا التاريخ ديوانه «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر».

لقد عاش ابن خلدون تجربة مليئة بالمفاجئات والتقلبات، بالنجاحات والإخفاقات^(٨)، دأب التنقل بين المغرب والجزائر والأندلس متردداً على بلاط الملوك والأمراء طلباً للحظوة والجاه حيناً، وفاراً من السجن والملاحقات حيناً آخر، إلى أن انتهى به المقام أخيراً إلى قلعة ابن سلامة بالجزائر حيث التجأ إليها معتزلاً السياسة ومطامحها وأهوالها^(٩).

شاء الدارسون المعنيون بالأبحاث الخلدونية أن يقسموا مراحل حياة ابن خلدون إلى أطوار ثلاثة^(١٠)، هي:

- مرحلة التلمذة، تونس ٧٣٢-٧٥٣ هـ.

- مرحلة المغامرات السياسية، المغرب والجزائر والأندلس ٧٥٤-٧٧٦ هـ.

- مرحلة العزلة والتأليف، قلعة ابن سلامة بالجزائر ٧٧٦-٧٨٠ هـ.

- مرحلة التدريس والقضاء وتنقيح مؤلفه وتتميمه، تونس ٧٨٠-٧٨٤ هـ ثم القاهرة ٧٨٤-٨٠٨ هـ.

يعد ابن خلدون دون أدنى شك أحد أساطين الفكر الإسلامي وقامة من قاماته، فهو الذي أطل علينا يوماً من قلعة ابن سلامة بعلم جديد تحت مسمى علم العمران البشري والاجتماع الإنساني. يطلق على هذا العلم في خضم التخصصات المعاصرة باسم علم الاجتماع. إنه أول من توصل إلى فكرة «فلسفة للتاريخ»؛ ولعلها أعظم فكرة لم ينتبه إليها المفكرون خلال تاريخ البشرية على الإطلاق مثلما يشير إلى ذلك «أرنولد توينبي»، «جورج مارسيز» و«ايف لاكوست» التي أسماها بالمعجزة العربية. وإنه ليعد أبرز الشخصيات الفكرية مضارعة لنظرائها في العلم والفقه والفلسفة سواء ممن سبقوه أو ممن

عاصروه وصولاً إلى جهاذة ومفكري عصر النهضة مثلما أشار إليه «روحية غارودي». وإنه أول السبّاقين الذين توصلوا إلى استخلاص الاجتماع والسياسة من الاعتبارات الدينية^(١١)، وإنه أول من حاول استخلاص القوانين الطبيعية التي تحكم قيام الدولة وزوالها وحاول وضع الدولة في إطارها الحضاري^(١٢). إنه ليعد بحق؛ أحد رواد الثورات العلمية في جميع مناهج العلوم الإنسانية^(١٣)، على الرغم من الظروف المرتبكة التي أحاطت به تزامناً مع ظروف قرن متشعب بالأزمات. فمن حذب هجمات التتر، ومن صوب الصراعات الداخلية للأسرة الحاكمة وتقلص دائرة حكم البلاد الإسلامية في الأندلس، ومن هنالك وباء الطاعون الذي أودى بمشايقه مخلفاً خراباً ودماراً والذي قال في شأنه: «وكأنني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل ما بالمغرب ... وكأننا نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانتقاض فبادر إلى الإجابة»^(١٤)، إنه العصر الذي وصفه «جاك بيرك» على أنه أسوأ العصور التي عرفتتها حضارات البحر الأبيض المتوسط في مدونة "la connaissance au temps d'Ibn Khaldoun, contributions à la sociologie de la connaissance"، وإنه المجتمع الذي يفقد فيه العقل إشعاعه ويصاب بالجمود، لأن الأفكار الحية لا تجد لها صدقاً في مجتمع مريض مثل تلك الأفكار الحية التي أبدعها عقل (ابن خلدون) والتي لم يستطع المجتمع أن يفهمها أو يستفيد منها^(١٥). ومع ذلك كله؛ فإنه لم يركن إلى الظروف المحبطة وظل متجلداً بالاصطبار، طائفاً الملل والأقطار، مجتمعاً بالملوك والأخبار، إلى أن بلغ شأواً من العلم وسؤدداً شهدت له النحل والأمصار. توفى العلامة رحمه الله بمصر عام ١٤٠٦ م، ودفن بمقابر الصوفية بالقاهرة.

ثانياً- الإصلاح عند ابن خلدون

كان لا بد من الإشارة إلى بعض الدراسات التي لامس فيها العلماء والمفكرون موضوع الإصلاح؛ قبل البدء في جسّ جانب من زخم المفاهيم التي أرساها العلامة ابن خلدون في هذا الصدد. ومن ذلك؛ ما دونه عابد الجابري في مؤلفه «نحن والتراث»، ومؤلفه «فكر ابن خلدون، العصبية والدولة»، وما كتب في شأنه عبد الحليم عويس حول «التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون»، ومؤلف «الدين والبناء العائلي» لنبيل السمالوطي، وكتاب «التصور القرآني للمجتمع، نظرية الإسلام الاجتماعية» للكاتب صلاح الدين مصطفى الفوال، فضلاً عن دراسات أخرى كدراسة Jacques Berque في مؤلفه «relire le coran» وBennabi Malik في مؤلفه «de l'Islam». والقائمة تبدو طويلة سواء في خضم الدراسات السابقة أو المشابهة.

وما من شك أن فكرة الإصلاح؛ لطالما راودت ثلة من المفكرين الأولين وثلة من العلماء المحدثين، ذلك أن كتابات الفلاسفة اليونانيين أمثال أفلاطون، وأرسطو عن العدالة، ثم القوانين والتنظيم الاستقرار السياسي والاجتماعي، وما كتبه مكيافلي خلال العصور الوسطى في مؤلفه «الأمير»، وما كتبه «كارل ماركس» في ذؤابة القرن العشرين عن صراع الطبقات، وما جادت به مختلف النظريات على شاكلة النظرية اللامعيارية لدوركايم التي يتقاسم فيها ألبرت ريس أيضاً نفس اهتمامات دوركايم، ونظرية الاختلاط التفاضلي^(١٦) لسذرلاند، لم تخرج كلها عن دائرة الفكر الإصلاحية. لكن يأبى رحم التاريخ إلا أن يلد لنا علماء ومفكرين مسلمين يحسب أن فصل الإصلاح لديهم، قد أخذ مبحثاً من حياتهم أمثال ابن خلدون.

وتجنباً لوضع احتمالات الانتقاءات الممكنة، لا بد لنا من ملاءمة تضع الاستمولوجية الخلدونية ضمن مصفوفة الفكر العربي الإسلامي ونحن نحاول اجترار ما تستقطبه إشكاليات الإصلاح عنده. فلماذا حاول ابن خلدون الإصلاح؟ بدون شك؛ إنها حالة التأزم الشامل التي عاشها العالم الإسلامي في عصره^(١٧).

إن انطلاق ابن خلدون في أبحاثه من واقعه أمر لا مراء فيه، ولكن ينبغي علينا الإشارة إلى أن الذات المفكرة للواقعة، لا تتقل بالضرورة الواقعة نقلاً موضوعياً، فهي ستقرؤها وستنقلها وستبررها بخلفية فكرية معينة. لذلك؛ لما أراد ابن خلدون أن يؤرخ، أراد أن يقدم ما عدّه تاريخاً صحيحاً، وفي خضم هذا الإطار؛ ينبغي ألا نهمل أيضاً جملة المعايير التي انطلق منها في تبرير مفهوم العصبية أو العمران البشري مثلاً. ولئن تتبعنا حضور مدد المصطلحات في خطاب ابن خلدون لأفئتنا ذات علائق لا يمكن أن نعزلها عن البيئة الاجتماعية التي انطلق منها، إنها بيئة «عصر التجميع الموسوعي». لقد نشأت إبان تلك الفترة موسوعات عدة في حقول مختلفة من المعرفة، وعلى أساس ذلك؛ حاول ابن خلدون أن يقوم بعمل مماثل في مجال التاريخ، ولكنه قبل أن يباشر مادته التاريخية، فكر في معايير معينة تمكنه من تصحيح علم التاريخ، فرجع إلى كُتب من قبله في هذا الصدد، فبدت له مأخذ تلك المدونات في غمرة قراءاته؛ وأراد أن يصحح ما سماه بأخطاء وقع فيها هؤلاء المؤرخون، فوضع علم العمران. لقد كانت الغاية هي تصحيح علم التاريخ، ووسيلة ذلك؛ المدخل المنهجي والنظري لعلم العمران. لكن ينبغي أن ننتبه هنا أيضاً إلى أن ابن خلدون وما كان يجول في منطقته وتصوره النظري، قد قاس علم العمران على مجال

آخر، وهو علم أصول الفقه، ويكأنه يريد السير في التأسيس لهذا العلم على خطى الشافعي. فإذا كان الشافعي نظم مجال التشريع ومجال الاجتهاد والفقه بأن وضع علماً لأصول الفقه، فإن ابن خلدون قام أيضاً بوضع علم أصول للتاريخ، وهو علم العمران وفي هذا المضمار بدأ يبحث في مقومات العمران البشري ضمن معايير وخلفية تتماشى تماماً وثابت الفكر الذي ينطلق منه ولطالما زاد عنه، بدون شك؛ إنها الخلفية السنية. أما المعايير التي وضعها ابن خلدون في تصويره ضمن سبق المجال، فإنه قد رصد للوجود الإسلامي درجة أولى عن الوجود الإنساني. إن هذه المعايير لا تختلف جوهرياً عن منطق نوعية المعنى ومنطق آلية إنتاج المعنى. ومن هاهنا لا يمكن أن يتورى عنا خطاب نتاجه الفكري في الاجتماع والسياسة والتاريخ والاقتصاد، إنه نتاج فكر إسلامي ينشد فهم سنن الله في العلم المادي والعالم الاجتماعي على حد سواء^(١٨).

وفي معرض الحديث عن الدلالات والسياقات المعرفية لموضوع الإصلاح، فلا نفتأ نرسو على مفاهيم تقضي بنا إلى مفصلة معناه، حتى تسترسل بنا وجهات نظر صنوان وغير صنوان إلى ركاب خطاب متباين الأوجه، لاسيما ونحن في خضم تنوعات المدارس والمذاهب الفكرية وتأرجح بوصلة تصوراتها من جهة، والمجال الذي تتأسس فيه ميكانيزمات الإصلاح كمحاور أساسية في كنف تعدد أشكال وميادين النشاط الإنساني من جهة أخرى. ولكن على الأرجح؛ يبدو أن العرب قد صدق قيلهم حينما قالوا: «ويضدها تتميز الأشياء». وفي ذلك أمارة على أن يكون الإصلاح نقيض الإفساد^(١٩)، واستقامة الحال على ما يدعو إليه العقل^(٢٠). أما الدلالة التي يأخذها الإصلاح كحركة للتغيير النوعي للأوضاع

الشاذة أو الفاسدة نحو صورة مغايرة^(٢١) سواء على مستوى المفاهيم والقيم والأفكار والعادات والتقاليد والمؤسسات والأفراد وكافة جوانب الحياة المادية والروحية والفكرية والأخلاقية، فإنه يقتضي حالة من الديمومة والاستمرارية على قدر حجم الفساد الحاصل.

يتجه المنظرون إلى إعطاء شبكة من المفاهيم والأبعاد لكلمة الإصلاح، فتارة يأخذ صفة التنمية، وتارة أخرى صفة التحديث، وطورا صفة التغيير، وطورا آخر صفة التحول، وهلم جرا من المدونات. كذلك الحال حول دلالاته واشتقاقاته ضمن سياق كل آية من القرآن الكريم. ونشير إلى ذلك عابرين غير مسترسلين، لأن المقال والمقام لا يتسعان لذلك، فلقد ورد الإصلاح بمعنى (الصلح - المرسلين - الإيمان - حُسن المنزلة - الرفق - التزام شرع الله - الطاعة - بر الوالدين - الوفاء - حسن الصحبة - تسوية الخلق).

تستدعي عملية الإصلاح في خطاب ابن خلدون عدداً من المداخل، على أن يكون سلمياً، سلمياً، ثم إن هذا الأخير يتطلب مدخلين مهمين وهما:

- أن يكون الإصلاح بشكل جزئي.
- أن يكون الإصلاح بالتدرج.

أما الإصلاح على مستوى الإنسان، فلا بد من أن يبتدئ من مدخل التقويم الموجب الإذعان لقبول الصواب والإقرار بالخطأ وعدم الإصرار والمغالاة فيه، ولا شك أن قبول النصح هو باب من أبواب هذا الإقرار؛ ويستشهد بقوله ﷺ: «الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٢٢). كذلك؛ فإن الإصلاح تشريعاً وتنفيذاً، ينبغي أن يكون تدرجاً في المسائل كلها؛ إذ لا بد من

الانتقال بمحاولات الإصلاح من منطلق ما هو كائن إلى ما هو ممكن واقعاً وعقلاً. ولننظر نظرة متأمل إلى القرآن الكريم وهو يسوق لنا أنموذجاً يحتذى به في أدب التدرج في الإصلاح والتغيير؛ في شأن قريش وأمم لم تعهد يوماً إبان تاريخها من أن تسمع كلاماً مماثلاً عن حرمة الخمر مثلاً، أو لم تكن أول آية نزلت في شأن الخمر مهيئة للعقول ومرفقة للقلوب حتى تلين إلى المقال وتلين إلى أمر الله؟ بلى؛ كانت كذلك، إنها الآية الكريمة التي امتدحت عدة ثمرات كانت العرب والعجم تتخذ منها أشربة وخموراً، فجاء النص القرآني مغالزاً لوجدان هؤلاء القوم حتى يجدوا موثقاً تتصرف إليه قلوبهم، ولا يتخذوا منه كلاماً خارجاً عن مألوفهم. قال الحق تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَنًا﴾^(٢٣). ثم يأتي بعد ذلك التهذيب مكماً لاستلطاف القلوب ومخاطبة العقول في قوله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾^(٢٤)، ويتلو النص والتأديب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾^(٢٥)، ثم يأتي التحريم بأسلوب مهذب من خلال دعوة الاجتناب كآخر مرحلة من أدب الإصلاح، قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢٦).

لا شك أن حديث ابن خلدون عن الإصلاح لم يكن من منطلق تجارب يومية عايشها في غمرة حلّه وترحاله أو عن تجارب تاريخية من خلال الروايات والوثائق والمخطوطات فحسب، وإنما وافته مرجعيته

الدينية الإسلامية بقبس معرّفه جعله يستكشف ما غاب عن عقول وظنون من سبقوه، وإننا إذ نقصد بذلك؛ أن استئناسه بالنصوص الشرعية؛ قرآن وسنة، قد عبّد له الطريق نحو قراءة متعددة الأبعاد لمقاربة ومقارنة الماضي بالحاضر والاستشراف للمستقبل. فإذا شئنا أن نستدل في معرض حديثه عن الإصلاح وهو يتم بالتدرج، فلا أبلغ وأدل من الاستشهاد الذي يقدمه لنا في معرض قوله ﷺ وهو يرشدنا إلى التغيير بحسب القدرة على إنكار المنكر عملاً، وبالأساليب السلسة التي يترتب عليها النهي وترك المنكر باليد أو باللسان، فإن لم يكن لنا بد من الإنكار والتغيير عملاً، فبالقلب، حيث يكره المرء في قلبه ذلك المنكر. يقول عليه الصلاة والسلام: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(٢٧).

إذاً، إن موضوع الإصلاح هو جوهر الرسالة المحمدية، وإننا لنجد أن رسالة الإسلام إنما جاءت لتقوم البشرية إلى ما يصلح شأنها ويذهب عنها الأوضار والفساد، ولا ريب أن النصوص الشرعية فيما يجمع حوله الفقهاء وعلى نحوهم أولو الاختصاص؛ كانت تحضناً دائماً على الإصلاح والنهي عن الإفساد. وهذا ما تدركه عقولنا وقلوبنا منذ الوهلة الأولى في قراءتنا المتأنية للقرآن الكريم في أيما موطن من مواطنه فيما يقابل هذا المعنى، وعليه، فإن الرسائل السماوية على غرار رسالة الإسلام، كانت تروم كلها إلى الدعوة إلى الإصلاح وترك الفساد. وهامي ذا النصوص المتسامية من القرآن الكريم تطلعنا على أن الإسلام حريص أيما حرص على ما يعلو بشأن الأمم ويحقق مبدأ الاستقرار فيها. يقول الحق تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(٢٨)، وفي موطن آخر ﴿إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ^(٢٩)، وقوله عزّ من قائل: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ^(٣٠). وفي دعوة سيدنا موسى عليه السلام لأخيه هارون وهو يخلفه في قومه ليصلح فيهم بعده في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٣١). وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾^(٣٢). إذا، تتعدد مواطن كلمة الإصلاح في القرآن الكريم وتتعدد معها المعاني المفضية إلى الصلح فيما ذات البين، والمفضية أيضا إلى درء الفساد سواء على مستوى الجماعة أم القائم على شؤونها. تلكم هي المدرسة التي أرشدت ابن خلدون إلى التبصر في الأحوال الاجتماعية والإنسانية ومقارباتها بالنصوص الشرعية التي تزخر بقصص الأولين، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾^(٣٣)، وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٣٤).

أما إذا تعطل سبيل الإصلاح كآلية وقائية بغية درء الكثير من الرزايا التي يمكن أن تنجر عن البديل الآخر الذي يظهر في الثورة، فهنا يشير العلامة ومن خلاله علماء الإسلام على اختلاف مذاهبهم، إلى أنه لا مناص من التوليف بين الإصلاح التدريجي والجزئي والثورة كبديل للتغيير جملة واحدة إذا ما اقتضى الحال. ولكن المفاضلة تستدعي تقديم الإصلاح على الثورة من منطلق أن منهج الإسلام ورسالاته، هو منهج ورسالة سلام تتربع فيها دعوة

المسارعة إلى إحقاق الأمن والسلم على نصيب هائل بدل للدعوة بدلاً من إلى العنف. ولأجل ذلك؛ فإذا ما توافرت إمكانيات الإصلاح أسقطت إمكانية القيام بالثورة. ولا أدلّ من قوله جلّ وعلا: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٣٥). أما إذا اقتضى الحال وكان لا بد من الثورة، فإن الثورة تتأتى كمحصلة لعدم جدوى العمل الإصلاحي.

ثالثاً- منطلقات الإصلاح

لا شك أن مدخل الاصطلاح الاجتماعي قد اتخذ لدى العلماء والمفكرين رؤى ونظريات تباينت على وفق توجهات لا يمكن الجزم بأنها توجهات معرفية بحثية، بالقدر الذي يمكن أن نعدها تشيعاً حظي فيها الإطار الإيديولوجي والمدخل الأنطولوجي بحصة كبيرة لتأكيد حضور وهيمنة المذاهب والمدارس على اختلاف مشاربها لشتى مجالات العلوم على وفق خصوصية ومرجعية كل مذهب ومدرسة. فمن العلماء من ينطلق من منطلق أن الإصلاح الاجتماعي ينبغي أن يكون فيه الإطار السياسي هو الخلاص لبلوغ الإصلاح، ومنهم من يرى أن لا مناص بأن تتبنى آليات الإصلاح على منطلقات مادية. إذا، تلكم هي المرجعيات التي يتبناها العلماء لاسيما الغربيون ككارل ماركس، وإميل دوركايم وغيرهم في ضوء عوامل ومجالات أظهرت قصورها النظري والعملي الذي لم يرق بعد إلى فهم المسار التطوري للمجتمعات الإسلامية وخصوصيتها المرتبطة بشؤونها بأرضية صلبة تأتلف فيها الأبنية الاجتماعية بالجانب العقائدي والأخلاقي والقيمي. وبمعنى آخر؛ فإن النصوص الشرعية المتسامية قرآنا وسنة نبوية؛ كانت دائماً تبعث على هداية الناس نحو بلوغ مقاصد ائتلاف الاجتماع والأمة، ولن يكون هذا

المرام إلا من خلال تحقيق الرباط والتماسك في كنف نظام اجتماعي يستوعب في ميكانيزماته أطرا دينية تستلهم قواعدها من القرآن والسنة كإطار مرجعي يحمل أبعادا لا يمكن للعقل البشري أن يبلغ مآلاتها نظرا لطبيعة قصوره.

لقد استطالت التجارب الشخصية للعلامة ابن خلدون في استقراءه لقضايا الاجتماع والعمران والسياسة والاقتصاد إلى مدد النصوص الشرعية^(٣٦) التي منحتة مناعة وقدرة على فهم وتفسير ما يكتنف الحياة الإنسانية من تحولات في خضم القوانين والأحكام التي تتحكم في سيرورتها وصيرورتها. إن القانون الإلهي عند ابن خلدون؛ لا يقوم على ضبط العلاقات الإنسانية فحسب، وإنما يتعداها إلى علاقة الإنسان بالله وعلاقته بالكون والأشياء، ويستدل بقوله تعالى: «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ»^(٣٧). ولذلك فهناك ضرب من ضروب الاختلاف بين الأخذ بالسياسة العقلية أي القوانين المفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبُصرائها^(٣٨)، والأخذ بقوانين مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها^(٣٩). ذلك أن السياسة العقلية (القوانين الوضعية)؛ تروم إلى تسيير شؤون دنيا الناس فقط، وذلك أن الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط، فإنها كلها عبث وباطل إذ غايتها الموت والفناء^(٤٠). والله يقول: «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ»^(٤١). أما السياسة الشرعية؛ فإنها سياسية دينية نافعة في الحياة الدنيا والآخرة^(٤٢). إذ؛ فالسياسة العقلية حتى وإن كان مبتغاها إصلاح دنيا الناس، فإنها قد تكون حكيمة مراعية لمصلحة العامة واستقامة الملك، وإما أنها

قد تكون مستبدة تعلق فيها مصلحة السلطان على مصلحة الرعية. بيد أن السياسة الشرعية فإنها تقتضي الحفاظ والسهر على حوائج العامة في دينها ودنياها، وأن الشارع أعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم. أمّا أعمال البشر؛ كلها عائدة عليهم في معادهم، قال ﷺ: «إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ عَلَيْكُمْ»^(٤٣)، وفي هذا السياق يتأكد لنا أن الدين الإسلامي يتجاوز مجرد عرض عقيدة، ليمتد إلى تقديم دليل سلوكي ووضوح أسس نظام اجتماعي يتسم بالقدرة على الاستمرارية^(٤٤).

الخاتمة

«إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ عَلَيْكُمْ» هذا ما تقرر في شريعة الله، هي دعوة لفهم حكمة الله في خلقه وأكوانه، وهي دعوة إلى من بيده شؤون الرعية كل من مكانه إلى فهم شريعة الله وحمل الناس عليها. أوليس من دواعي الإصلاح أن نذهب عن الناس مذمومات الأخلاق والأخذ بمحمودها؟ أوليس من الإصلاح إحقاق اجتماع الناس وتأليفهم على كلمة سواء؟ أوليس الابتعاد عن نواميس الشرع وقوانينه إيذانا بالفساد والخراب والهلاك؟ هي أسئلة أجاب عنها ابن خلدون في معرض موسوعته، ولكننا حاولنا قدر الإمكان أن نضع خطوطا عريضة ضمن هذه الأسطر المتواضعة للإجابة عنها. ولكننا موقنون أن ما تقدم من إجابات لا يمكن أن يروي ظلماً المتلهف لمعرفة المزيد، ذلك لأننا لم نستوف بعد قيد قطمير من نصاب الإجابات التي قدمها ابن خلدون، والتي لا يمكن أن تكون إلا في مؤلف خاص، بل في مجلدات حتى لا نبخس الرجل حقه ونروي ظلماً المستزيدين.

لقد قرر ابن خلدون منذ البداية، أن السياسة العقلية القائمة -النظام الوضعي الديني- منفصلة

الهوامش

- ١- عبد الرحمن بدوي، مؤلفات ابن خلدون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦، ص ١٣.
- ٢- نفسه، ص ١٣.
- ٣- نفسه، ص ١٣.
- ٤- حُبس بها في ١٨ صفر ٧٨٥ هـ الموافق لـ ١٠ فبراير سنة ١٣٥٧ م حينما اتُّهم بالتآمر مع الأمير محمد لاسترجاع بجاية من السلطان أبي عنان. وتم إطلاق سراحه من طرف القائم الدولة الوزير حسن بن عمر بعد وفاة السلطان أبي عنان في ١٤ ذي الحجة ٧٥٩ هـ.
- ٥- ٧٨٤-٨٠٨ هـ.
- ٦- مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الواحد وايفي، دار النهضة، مصر، ط٦، ٢٠١٤، ص ٢٧.
- ٧- انتهى العلامة من تأليفه في التاسع والعشرين من شهر صفر عام ٧٥٢ هـ.
- ٨- محمد عابد الجابري، نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٦، ١٩٩٣، ص ٣١١.
- ٩- محمد عابد الجابري، نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، سبق ذكره، ص ٣١١.
- ١٠- محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٦، ١٩٩٤، ص ٣٨.
- ١١- مصطفى النشار، تطور الفكر السياسي القديم، من صولون حتى ابن خلدون، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٩، ص ٢٨١.
- ١٢- نفسه، ص ٢٧١.
- ١٣- جورج سعد، تطور الفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٢٠٣.
- ١٤- أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق علي عبد الواحد وايفي، ج٤، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٤٠٦.
- ١٥- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، الجزائر، دمشق، ب.ت، ص ٣١.
- ١٦- مصلح الصالح، الضبط الاجتماعي، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠٤، ص ١١٣.
- ١٧- وجيه كوثراني، تاريخ التأريخ، اتجاهات، مدارس، مناهج، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، بيروت، ط٢، ٢٠١٣، ص ٧٩.
- ١٨- سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٦، ص ٥٧.

الرؤية ومنحصرة في زاوية ضيقة لا يمكن لها أن تستطيل إلى ما استطالت إليه رؤية القوانين الشرعية التي هي شريعة الحكيم العليم. إن السياسة العقلية كما يقرره ابن خلدون؛ طريق لخراب دنيا الناس ودينهم. وإن السياسة التي تدعو إلى تكريس نزعة الفردانية وتغليب المصالح الدنيوية الضيقة، وتجريد الرعية من روح الأخلاق، هي سياسة ستجعل الكل يهرع ويتلهف إلى إرواء ظمأ «الأنأ» هذا «الأنأ» المتماهي الذي لا يقرّ أبداً بأنه قد ارتوى أو شبع يوماً، هذا «الأنأ» الذي كان سبباً في طرد إبليس من الجنة. وإننا لما نقف على مشهد مخزٍ تتسابق فيه الإنسانية وتتنازع وتتناحر، ومرامها في ذلك كله؛ هو بلوغ مكاسب مادية بحتة، فأنى لها بأن تسمو بذواتها إلى معاني المسؤولية؟ وأنى لها بأن تسمو إلى المقاصد إحقاق رسالة الاستخلاف في الأرض خدمة للدين والعدل والعمارة وتشبيد الحضارة؟ أما الأمة العربية والإسلامية على حد سواء، فأنى لها أن تلتفت إلى العلم والفكر كقيمة أخلاقية وكرسالة استخلاف في الأرض، بل أنى لها أن تدرك أنها لا زالت تتطرق أسماء جل أدواتها النفعية من «أدوات منزلية... إلى أسماء دقائق أجزاء جسم الإنسان باسمها الأعجمي ولا تجد ما يؤسسها في اللغة العربية» مثلما يشير إليه عابد الجابري. أجل؛ لقد أقرّ ابن خلدون منذ أمد بعيد أن «من مفاسد الحضارة الانهماك في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف فيقع التفتن في الزنا واللواط، فافهم ذلك واعتبر به، إن غاية العمران هي الحضارة والترف وأنه إذا بلغ غايته انقلب إلى فساد، وأخذ في الهرم» إنه لسان حال واقعنا الذي يحتاج إلى عمائم الإصلاح بالمنظور الخلدوني، لا؛ بل بمنظار التشريع الإلهي.

١٩- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ٣، ج ٢، ص ٥١٧.

٢٠- أبو البقاء الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج ١، دت، ص ٥٦١.

٢١- حامد عمار، الإصلاح المجتمعي، إضاءات ثقافية واقتصادية تربوية، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦، ص ٢١.

٢٢- الحافظ بن رجب، الأربعون النووية مع تنميتها، تحقيق علي بن أحمد بن حسن الرازي، دار الآثار للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٤، ص ٢٩.

٢٣- سورة النحل، الآية، ٦٧.

٢٤- سورة البقرة، الآية، ٢١٩.

٢٥- سورة النساء، الآية، ٤٣.

٢٦- سورة المائدة، الآية، ٩٠.

٢٧- الحافظ بن رجب، سبق ذكره، ص ٧١.

٢٨- سورة الأعراف، الآية، ٥٦.

٢٩- سورة هود، الآية، ٨٨.

٣٠- سورة البقرة، الآيتان، ١١، ١٢.

٣١- سورة الأعراف، الآية، ١٤٢.

٣٢- سورة هود، الآية، ١١٧، ١١٦.

٣٣- سورة طه، الآية، ٩٩.

٣٤- سورة يوسف، الآية، ١١١.

٣٥- سورة المائدة، الآية، ٢.

٣٦- كان ابن خلدون «يرى أن الدين أهم شيء في الحياة، وأن الشريعة هي الطريق الوحيد إلى الهدى». انظر: هاملتون جب، دراسة في حضارة الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٢٢٣.

٣٧- سورة فصلت، الآية، ٥٣.

٣٨- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ضبط وشرح وتقديم، محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، ص ١٨٤.

٣٩- نفسه، ص ١٨٤.

٤٠- نفسه، ص ١٨٤.

٤١- سورة المؤمنون، الآية، ١١٥.

٤٢- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، سبق ذكره، ص ١٨٤.

٤٣- نفسه، ص ١٨٥.

٤٤- رشيد ميموني، البعد الاجتماعي في القرآن، مقارنة سوسيو معرفية، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية بقسنطينة، الجزائر، ط ٢٠٠٩، ص ٣٥١.

أولاً- قائمة المصادر

١. المصحف الشريف، رواية ورش عن نافع، المؤسسة الوطنية للفتن المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، ١٩٨٤.

٢. الحافظ بن رجب، الأربعون النووية مع تنميتها، تحقيق علي بن أحمد بن حسن الرازي، دار الآثار للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٤.

٣. ابن منظور، (رقمه في الترتيب ٢) لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ٣، ج ٢، دت.

ثانياً- قائمة المراجع

١. أبو البقاء الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج ١، دت.

٢. أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق علي عبد الواحد وايفي، ج ٤، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٥.

٣. جورج سعد، تطور الفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٠.

٤. حامد عمار، الإصلاح المجتمعي، إضاءات ثقافية واقتصادية تربوية، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦.

٥. رشيد ميموني، البعد الاجتماعي في القرآن، مقارنة سوسيو معرفية، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية بقسنطينة، الجزائر، ط ٢٠٠٩.

٦. سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط ١، سنة ١٩٨٦.

٧. عبد الواحد وايفي (المفروض رقمه ٩)، مقدمة ابن خلدون، دار النهضة، مصر، ط ٦، ٢٠١٤.

٨. عبد الرحمن بدوي (رقم ٧)، مؤلفات ابن خلدون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦.

٩. عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (رقم ٨)، مقدمة ابن خلدون، ضبط وشرح وتقديم، محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

١٠. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر المعاصر، الجزائر، دمشق، ب.ت.

١١. محمد عابد الجابري، نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ٦، ١٩٩٣.

١٢. محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ٦، سنة ١٩٩٤.

١٣. مصطفى النشار، تطور الفكر السياسي القديم، من صولون حتى ابن خلدون، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٩٩٩.

١٤. مصلح الصالح، الضبط الاجتماعي، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠٠٤.

١٥. هاملتون جب، دراسة في حضارة الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.

١٦. وجيه كوثراني، تاريخ التأريخ، اتجاهات، مدارس، مناهج، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، بيروت، ط ٢، ٢٠١٣.

الحركات الاحتجاجية والاجتماعية في ليبيا بين أزمة الدولة والانشقاقات المجتمعية (دراسة تحليلية سوسيولوجية تاريخية)

أ.د. حسين سالم مرجين - ليبيا

قسم علم الاجتماع - جامعة طرابلس

mrginhussein@yahoo.com



الملخص

أنقسامها فإن الفضاءات العمومية تصبح مجالاً رحباً للحركات الاحتجاجية، ليس في المدن الكبرى فحسب، بل يمتد ليشمل العديد من المدن والقرى الصغيرة، كما أنه في الوقت نفسه لم ينتج عنه غياب المؤسسات التي استمدت شرعيتها من ديناميكية الشبكات الاجتماعية، فتجتاح أي احتجاج اجتماعي مرهون بالدرجة الأولى على عمليات القبول والتأييد والاستقطاب والقبلي، فالمجتمع القبلي كان وما زال أقوى من السلطة المركزية.

الكلمات المفتاحية: المجتمع القبلي - الحراك المجتمعي - السلطة المركزية - الوعي المجتمعي.

تسعي هذه الدراسة إلى مناقشة موضوع الحركات الاحتجاجية والاجتماعية في ليبيا، من خلال مقارنة سوسيولوجية تاريخية، إذ استطاع الحراك المجتمعي في ليبيا (٢٠١١م) تفكيك وإسقاط بنية السلطة المركزية الحاكمة، وخلق واقعاً جديداً على المستوى السياسي والاجتماعي، وذلك بعرض عدد من التساؤلات أهمها: ما دور وطبيعة الحركات الاحتجاجية والاجتماعية في المجتمع الليبي؟ وهل عمليات القبول والتأييد للحركات الاحتجاجية والاجتماعية في المجتمع الليبي مرهون باستقطاب القبيلة؟ وبينت الدراسة إن غياب الدولة أو السلطة المركزية أو ضعفها أو

abstract

This study seeks to discuss the issue of protest and social movements in Libya, where the social mobility in Libya 2011 dismantled and overthrew the structure of the central ruling power, and created a new reality at the political and social level, By asking a number of questions, the most important of which is: What role and nature of protest movements and social in the Libyan society? Are the processes of acceptance and support of the protests and social movements in the Libyan society depends on the polarization of the tribe? The study shows that the absence or weakness of the state or central authority, public spaces become a broad area of protest movements, not in the major cities, but extends to many cities and small villages, and at the same time did not result in the absence of institutions that derived their legitimacy from The dynamics of social networks, the success of any social protest depends primarily on the processes of acceptance, support, polarization and tribal, tribal community was and still stronger than the central authority.

key words: Tribal community- Community mobility- Central Authority- Community awareness

المقدمة

التي أصبحت أكثر ضرورية مع تنامي عمليات العنف، والمطالبة بتحسين الأوضاع المعيشية والحياتية الملحة، والخدمات الاجتماعية، مثل: الصحة، والتعليم، ومكافحة الفساد، مستفيدة من مناخ الحرية، وضعف مؤسسات الدولة، كما تزامن ذلك مع توسع دائرة الاحتجاجات لتمييز بعضها بالاستقطاب القبلي، ومن هنا تبرز أهمية الموضوع في كونه حوّل ظاهرة الحركات الاحتجاجية والحركات الاجتماعية إلى موضوع معرفة سوسيولوجية، تهدف إلى أن يفهم النشاط الاجتماعي بالتفسير لكي يشرح فيما بعد سبب تطور هذا النشاط ونتائجه^(١)، وقد أسهمت أشكال الاحتجاجات المجتمعية في تبديل الصورة النمطية للمجتمع الليبي، فبرزت مفاهيم جديدة عن المجتمع الليبي بعد سقوط الكثير من المفاهيم التي كانت سائدة عنها بمعان وتفسيرات جديدة بالتالي

شهدت ليبيا عام (٢٠١١م) حراكاً مجتمعياً استطاع تفكيك وإسقاط بنية السلطة المركزية الحاكمة، وخلق واقعاً جديداً على المستوى السياسي والاجتماعي، وذلك انطلاقاً من مجال المجتمع الافتراضي إلى مجال المجتمع الواقعي، مستفيداً من تطبيقات الويب التفاعلية، خاصة في مجال التهيئة، والتنظيم، والتأييد، والحشد، فأصبحت بعض تلك التطبيقات التفاعلية أداة احتجاجية ضد سياسات وممارسات النظام السياسي السابق مما حرك نوعاً ما الركود والسكون المجتمعي، لتعطي بذلك صورة غير مسبوقة عن أهمية الفعل الجماعي في إحداث التغيير، فبرزت الحركات الاحتجاجية وأشكالها المختلفة كفاعل جديد، إذ تميزت بوجود تنوع في مجالات فضاءاتها وتعدد الهويات، فضلاً عن تمسكها بالمطالب القومية والاجتماعية لمن تمثلهم، وتأثيرها في بعض الأحيان على صانع القرار، وارتبطت بعض تلك الاحتجاجات بالمطالبة بتحسين الأوضاع الأمنية

(١) جوليان فرويد، سوسيولوجيا ماكس فيبر، ترجمة: جورج أبي صالح، (بيروت: مركز الإنماء القومي)، ص ٤٨.

التساؤلات

يمكن تحديد جملة من التساؤلات أهمها:

- ١- ما طبيعة الحركات الاحتجاجية والاجتماعية في المجتمع الليبي؟
- ٢- ما العوامل التي أثرت في طبيعة وتكوين الحركات الاحتجاجية والاجتماعية، وشكلت تصوراتها ورسمت فضائها في المجتمع الليبي؟
- ٣- هل عمليات القبول والتأييد للحركات الاحتجاجية والاجتماعية في المجتمع الليبي مرهون باستقطاب القبيلة؟
- ٤- ما مستقبل الحركات الاحتجاجات والاجتماعية في المجتمع الليبي؟

المنهجية

تطلق هذه الورقة من مقارنة سوسيولوجية تاريخية ترى أن فاعلية وقوة الحركات الاحتجاجية والاجتماعية في المجتمع الليبي مرهونة بشكل كبير على مسألة استقطابها للمجتمع القبلي، كون المجتمع القبلي في ليبيا كان ولا يزال أقوى من السلطة المركزية، فهو نظام متماسك وله من الروابط الداخلية الخاصة به ما يميزه عن روابط السلطة، وتقيه من مسألة الانهيار أو الاهتزاز فهو يستمد قوته من مضمون نظام القرابة «العصبية»، كما يمتلك هذا المجتمع نظاماً قيمياً يحميه من أي مخاطر أو تهديدات قد يتعرض لها، بالتالي لا يضره زعزعة أو إزاحة السلطة أو سقوط حاكم، في حال تأييد الحركات الاحتجاجات والاجتماعية، طالما أن مضمون قيمه ومرجعياته محفوظة، فالحراك المجتمعي - كحركة احتجاجية - والتي حدثت في ليبيا العام (٢٠١١م)، أدت إلى سقوط السلطة التي تعني بالضرورة سقوط مؤسسات الدولة - لأن كلاهما واحد بالنسبة للحالة الليبية - فبرزت من ثم أزمة سقوط الدولة إلا أنه في الوقت نفسه لم ينتج عنها غياب مؤسسة القبيلة، إذ قامت هذه المؤسسة

سيتم التركيز على الحركات الاحتجاجية والاجتماعية في مرحلة ما بعد (٢٠١١م)، فهوامش الحريات الفردية والجماعية اتسمت خلال هذه المرحلة بالاتساع إلى حد ما، فضلاً عن المناخات التي كانت مواتية من حيث تقلص قوة مؤسسات الدولة، لصالح استقطاب القبيلة، فضلاً عن إسهامات تقنيات الويب (٢٠٠) في عمليات التعبئة المتنوعة سواء أكانت ذات الأشكال المادية أم الرمزية، كما أصبح هناك العديد من الحركات الاحتجاجية المرتبط كل منها بسياقها الخاص وبظروفها وحيثياتها، وتحاول هذه الورقة التطرق إلى دور وطبيعة الحركات الاحتجاجية والاجتماعية في المجتمع الليبي (من خلال مطالعات متأنية وتأمل عميق)، وكذلك التركيز على العوامل التي أسهمت في نشوء تلك الحركات في المجتمع الليبي، بالمقابل يبدو أن الدراسات السوسيولوجية المتعلقة بالحركات الاحتجاجية نادرة، ولا تكاد تذكر في سياق المجتمع الليبي، وهو أمر مفهوم لعدة أسباب، لعل أهمها: كون هذه الموضوعات تعد من الموضوعات المحرم التطرق إليها في ظل النظام السياسي السابق، مما خلق نوعاً من الانقياد والتسليم لدى بعض الباحثين نحو موضوعات بعينها، من ثم الابتعاد عن هذه الموضوعات.

كما تبرز أهداف هذه الورقة العلمية وفقاً لجملة من الاعتبارات الآتية:

- تسليط الضوء على أهداف وأسباب الحركات الاحتجاجية والاجتماعية.
- توضيح المحددات التي ارتكزت عليها الحركات الاحتجاجية والاجتماعية.
- الولوج إلى عمق الأحداث بغية توسيع دائرة المعرفة.
- محاولة التنبؤ بمجريات الحركات الاحتجاجية والاجتماعية من خلال إعمال المخيلة السوسيولوجية.

بانشقاقات مجتمعية عن السلطة المركزية من خلال عمليات التحول باتجاه قبول وتأييد الحراك المجتمعي، فحافظت هذه المؤسسة القبلية على تماسكها من خلال الولاءات والتضامات القبلية كونها نسق تضامني يطفو دائماً على السطح في حال وجود أي مخاطر تواجه المجتمع، وتتوقف قوة وفاعلية الحركات الاحتجاجية ككتلة متضامنة ومقاومة للسلطة المركزية بمدى حصولها على الاستقطاب القبلي ليصبح لهذه المؤسسة الدور المحوري في زعزعة أو سقوط السلطة، وهذا يدعونا إلى التأكيد على جدلية العلاقة بين قوة وفاعلية أي حركات احتجاجية واجتماعية في ليبيا وبين مسألة تحول المجتمع القبلي باتجاه قبول وتأييد تلك الحركات، وفي ضوء هذا المنهج كان لزاماً القيام بالآتي:

أ. محاولة رصد أهم المحطات التاريخية لمعرفة جدلية العلاقة بين الحركات الاحتجاجية والاجتماعية والمجتمع القبلي، وهو ما يفيد في التحليل السوسيولوجي التاريخي.

ب. استخدام مفهوم السلطة المركزية للدلالة على النظام السياسي الحاكم في المجتمع.

ت. استخدام مفهوم المجتمع القبلي للدلالة على العيش والتواصل وفقاً لمعيار القرابة والنسب، إذ يتولد لدى أفراد المجتمع الإحساس الكامل بالترابط والتكافل والتماسك والالتحام ككتلة متضامنة، كما أن الطاعة السياسية مبنية على أساس طاعة الفرد لرئيس القبيلة.

ث. استخدام مفهوم الحراك المجتمعي للدلالة على التغيير الحاصل في المجتمع الليبي والتي أدت إلى سقوط النظام السياسي السابق، كما أن استعمال مفهوم الحراك المجتمعي سوف يحمل مضامين نابعة من خصوصياته، «ونقصد بالحراك المجتمعي هنا القدرة على الفعل لبعض أفراد المجتمع بالانتقال بالمجتمع من حالة السكون إلى حالة التغيير، كما أن الذين قاموا بالحراك

هم مجموعة أفراد قاموا بعمليات حشد وتنظيم أنفسهم والتحدث بصوت واحد وهو السعي إلى إسقاط النظام منطلقين من كون «الشعب يريد تغيير النظام»^(٢).

ج. استخدام مفهوم انشقاقات مجتمعية بمعنى حدوث تحول أو تبدل للمجتمع القبلي في الاعتراف بشرعية السلطة المركزية، وحدث قطيعة معها، والانضمام نحو الحركات الاحتجاجية والاجتماعية والاعتراف بشرعيتها.

وتم تقسيم الورقة العلمية إلى أربعة محاور رئيسية، سنحاول من خلالها الولوج إلى إجابات محددة للتساؤلات المعروضة، والمحاور هي:

١. طبيعة الحركات الاحتجاجية والاجتماعية في المجتمع الليبي.

٢. العوامل التي أثرت في طبيعة وتكوين الحركات الاحتجاجية والاجتماعية، وشكلت تصوراتها، ورسمت فضائها في المجتمع الليبي.

٣. عمليات القبول والتأييد للحركات الاحتجاجية والاجتماعية في المجتمع الليبي مرهون باستقطاب القبيلة.

٤. مستقبل الحركات الاحتجاجات والاجتماعية في المجتمع الليبي.

المحور الأول: ما طبيعة الحركات الاحتجاجية والاجتماعية في المجتمع الليبي؟

قبل الولوج إلى تحديد طبيعة الحركات الاحتجاجية والاجتماعية في المجتمع الليبي؛ نحتاج تحديد المفاهيم المستخدمة في هذه الورقة، ولعل أهم تلك المفاهيم هو مفهوم الحركات الاجتماعية، والحركات الاحتجاجية، والهدف من هذا التحديد والتعريف هو القيام بعمليات ضبط مفاهيمي، كون

(٢) حسين سالم مرجين، آفاق سوسيولوجية على متن الحراك المجتمعي العربي، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد ٩، العدد ٢، ٢٠١٦م، ص ١٧٠.

ذلك يُسهل على القارئ فهم المقصود من استخدام المفاهيم المعروضة، بناءً عليه، فإنه سيتم تبني تعريف للمفهومين حسبما عرضه عمرو الشوبكي في كتابه (الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي) كونه الأقرب إلى تصور هذه الورقة.

١- مفهوم الحركات الاجتماعية نعني بالحركات الاجتماعية الجهود المنظمة التي تبذلها مجموعة من المواطنين كمثلة عن القاعدة الشعبية بوصفها فاقدة للتمثيل الرسمي بهدف تغيير الأوضاع، أو السياسات، والهياكل القائمة لتكون أكثر اقتراباً من القيم التي تؤمن بها الحركة، كما أن دورة حياة الحركات الاجتماعية تمر بمراحل، أهمها مرحلة الاحتجاج؛ وذلك بغية كسب المزيد من المؤيدين^(٣).

٢- مفهوم الحركات الاحتجاجية: «نعني بالحركات الاحتجاجية أشكالاً متنوعة من الاعتراض، تستخدم أدوات يبتكرها المحتجون للتعبير عن الرفض، أو لمقاومة الضغوط الواقعة عليهم، أو الالتفاف حولها^(٤)».

إن الهدف الذي نسعى إليه في الصفحات القادمة هو محاولة تشخيص وفهم وتفسير طبيعة الحركات الاحتجاجية والاجتماعية في المجتمع الليبي، فابن خلدون يقول: (فهم الحاضر لا يتم إلا في ضوء فهم الماضي، فالتاريخ هو علم إنساني اجتماعي، وفي الوقت نفسه هو سجل حافل لتاريخ المجتمعات البشرية، في حين أن علم الاجتماع يهتم بالماضي لكي يفسر به الحاضر، وكلاهما (الماضي والحاضر) يعملان من أجل وضع صورة تنبؤية للمستقبل، بالتالي فإن اكتشاف الدلائل والمضامين

(٣) ينظر: عمرو الشوبكي وآخرون، الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي، (مصر - المغرب - لبنان - البحرين - الجزائر - سورية - الأردن). ط ٢. (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية: ٢٠١٤)، ص ٤١.

(٤) عمرو الشوبكي، وآخرون، ص ٤٢.

التاريخية سيؤدي بدون شك إلى فهم طبيعة المجتمع، إذ تظهر هناك حاجة إلى وقفة سوسيوتاريخية بغية تشخيص وفهم وتفسير طبيعة الحركات الاحتجاجية والاجتماعية في المجتمع الليبي، وضمن هذا السياق، قسم الباحث المراحل التي مرت بها الحركات الاحتجاجية إلى أربع مراحل، هي:

- مرحلة النظام الملكي ١٩٥١-١٩٦٩ م.
- مرحلة نظام القذافي ١٩٦٩-٢٠١١ م.
- مرحلة ما بعد ٢٠١١ م- ٢٠١٤ م.
- مرحلة ٢٠١٤-٢٠١٧ م.

يمكن القول بأننا عندما نقرب أوراق مؤرخينا، نكتشف أن معظم الحركات الاحتجاجية تبدأ في المجتمع الليبي (الذي يغلب عليه الطابع القبلي) في العادة رفضاً للسلطة المركزية في «طرابلس»، بسبب بعض السياسات أو الممارسات أو الإجراءات الاستبدادية من السلطة المركزية، فتصبح هذه الاحتجاجات ناراً في الهشيم في حال حصولها على تأييد قبلي، كون غالبية المجتمع الليبي، تعيش وتتواصل وفق معيار القرابة والنسب (العائلة فالعشيرة فالقبيلة)، ويتولد لدى أفراد البيت الواحد الإحساس الكامل بالتكافل والتماسك والالتحام، ومن ثم فإن الانضمام للحركات الاحتجاجية يعتمد بشكل كبير على مسألة الانتماء القبلي، وهذا الترابط في الحركات الاحتجاجية يعطينا صورة عن مدى العلاقة الاجتماعية بين أفراد المجتمع والعائلة في مجتمع كتلة متضامنة، فبنيت الطاعة السياسية هذه على أساس طاعة الفرد لرئيس القبيلة، ويعد هذا النوع من الترابط بين أفراد العائلات والقبائل نوعاً من التكامل الآلي كما حدده علماء الاجتماع في العصر الحديث، وهذا التكامل هو عامل قوي من عوامل سرعة انتشار الحركات الاحتجاجية في المجتمع الليبي، كما يقلل هذا الترابط في المدن لتظهر روابط الجيرة، وهم أبناء الحي أو الشارع

أو الزنقة الواحدة، خاصة في مدينتي طرابلس وبنغازي، وأسهمت التحالفات القبلية في المجتمع الليبي إلى حد كبير جدًا في حصول عامل التأييد والمناصرة للحركات الاحتجاجية، وتسمى هذه التحالفات بالصفوف، وهذه الصفوف ظهرت كأحلاف بين المجتمع الليبي، سواء أكان في المدن أم في الدواخل، وأهم هذه الصفوف، هو صف يوسف شداد في جنوب تونس وغربي طرابلس، وصف البحر، والصف الفوقي في شرق وشمال طرابلس، وصف القبلة وفزان^(٥)، بالتالي فإن ما يميز المجتمع الليبي في حالة التجزؤ السياسي وفقدان السلطة المركزية بحسب وجهة نظر محمود أبوصوة «هو قدرة الليبيين على تسيير حياتهم الاقتصادية والسياسية ضمن شبكات اجتماعية تمتد من شمال البلاد إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها، والمسألة هنا لا تتعلق بالمجتمع الأهلي رغم أهميته في تنظيم العلاقات البينية داخل المدن والقرى، وإنما لما لها من علاقة بدور الشبكات الاجتماعية في توطيد العلاقات المتنوعة والمعقدة على المستويين المحلي والدولي، فغياب الدولة أو السلطة المركزية في تاريخ المجتمع الليبي لم ينتج عنه غياب المؤسسات التي استمدت شرعيتها من ديناميكية الشبكات الاجتماعية^(٦)»، ولعلي هنا أخطر بالابتسار الذي يحدثه أي اختصار، وأقول أن المجتمع القبلي في ليبيا كان وما زال أقوى من السلطة المركزية.

لقد شهد المجتمع الليبي العديد من الحركات الاحتجاجية نتيجة لاستبداد وظلم بعض الحكام، فضلاً عن قلة أو ندرة الثروات الاقتصادية، كما انتقلت بعض الحركات الاحتجاجية في المجتمع

الليبي لتصبح حركات اجتماعية، وتميزت بقدر معين من القيادة، والتنظيم، والاستمرارية، مثل: حركة عبدالجليل سيف النصر، وحركة غومة المحمودي، وكانت تلك الحركات في بداية تكوينها عبارة عن حركات احتجاجية نتيجة لسياسات السلطة المركزية في طرابلس، ثم لم تقف أن أصبحت تلك الاحتجاجات عبارة عن حركات اجتماعية نتيجة امتلاكها عناصر التنظيم، والقيادة، والاستمرارية، فضلاً عن حصولها على عامل مهم وهو التأييد، والحشد، والتفاف وانضمام عدد كبير من أفراد المجتمع «القبلي» حول تلك الحركات ومناصرتها، وعبرت تلك الحركات عن وجود وعي وقناعة بوجود خلاف مع السلطة المركزية آنذاك من خلال عدم الحصول على الحقوق والمطالب، وحاولت تلك الحركات الاجتماعية في مراحل لاحقة من تطورها إلى السعي نحو الوصول إلى الحكم، كما برزت في المجتمع الليبي بعض الحركات الاجتماعية الدينية ذات الطابع السلمي، مثل: الحركة السنوسية التي يمكن القول بأنها كانت قائمة على التأكيد على الهوية الإسلامية للمجتمع الليبي، فساهمت هذه الحركة في بلورة وعي جمعي شمولي، كما يمكن القول بأنها نجحت في التأثير على المجتمع الليبي «القبلي» آنذاك.

■ مرحلة النظام الملكي ١٩٥١ - ١٩٦٩ م:

خلال مرحلة الحكم الملكي (١٩٥١ - ١٩٦٩ م)، سمحت السلطة للأفراد بالخروج والتعبير بمظاهرات احتجاجية؛ وذلك بعد الحصول على إذن وتراخيص من وزارة الداخلية، وكانت الوزارة تمنح الموافقة لبعض الاحتجاجات لتكون تحت إشرافها، في حين كانت ترفض في بعض الأحيان الأخرى منح تراخيص لبعض الاحتجاجات، مما يؤدي في بعض الأحيان أيضاً إلى خروج تلك الاحتجاجات دون الحصول على تراخيص، فخلال الستينيات من القرن الماضي، بدأ الوعي القومي «العربي» يتطور لدى أفراد المجتمع

(٥) على حميدة عبداللطيف، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا، الطبعة الثانية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية: سلسلة أطروحات الدكتوراه: ١٩٩٨) ص ٨٣.

(٦) محمود أبوصوة، مدخل لتاريخ ليبيا العام-جدلية المجال والهوية، (طرابلس-ليبيا: دار الرواد، ٢٠١٢)، ص ٤٧١-٤٧٢.

الليبي خاصة في المدن الكبرى مثل: طرابلس، وبنغازي وبشكل خاص في صفوف الطلاب والعمال، وذلك مع انتشار للأفكار والتيارات القومية العربية مثل: التيار الناصري، والتيار البعثي، فبدأ المجتمع يكتشف مخاطر النظام الفيدرالي^(٧) في عملية التضامن والوحدة الوطنية، فضلاً عن مخاطر وجود القواعد الأجنبية في ليبيا، كما ارتبط ذلك الوعي المجتمعي بالقضايا العربية، وبشكل خاص الثورة الجزائرية، والقضية الفلسطينية، ومن ثم بدأ هناك تأثير لهذا الوعي المجتمعي على هوية الاحتجاجات، فأصبحت جلها ذات مطالب سياسية إلى جانب بعض الاحتجاجات المطالبية المرتبطة بزيادة الأجور وتعديلها، وفي هذا الصدد استطاعت الاحتجاجات العمالية على وجه الخصوص الانتقال من مجرد حركات احتجاجية مطلبية إلى حركات اجتماعية منظمة بلغت مكانة عالية من توحيد الصفوف والقيادة والتنظيم، فتم تأسيس اتحاد عمالي يضمن عدد من النقابات العمالية تحت مسمى (الاتحاد العام الليبي للشغل)^(٨)، واستطاع هذا الاتحاد الوليد الدفاع عن حقوق العمال من زيادة الأجور، والضغط على السلطة المركزية آنذاك من أجل إصدار تشريعات تحفظ حقوق العمال، فكان سلاح الاضراب هو السلاح القوي الذي استطاع الاتحاد استخدامه من أجل الضغط على السلطة السياسية لتنفيذ مطالبه، ولعل أبرز الاضرابات التي نفذها الاتحاد، هي: اضراب ١٩٥٥/٤/٢٥، وضراب ١٩٥٥/٧/١١، بشأن المطالبة بتطبيق العطلة الأسبوعية، وإضراب ١٩٦١/٩/١٠ بشأن تعديل الأجور حيث كانت حركة

البلاد تشل مع كل اضراب يتم تنفيذه، وذلك في جميع القطاعات الإنتاجية والخدمية مما يؤدي إلى رضوخ السلطة لمطالب الاتحاد العام الليبي للشغل^(٩)، وطوال سنوات ١٩٥٣-١٩٦١ استطاعت الحركة العمالية الاجتماعية أن تفرض وجودها على السلطة السياسية، حتى قيل أن الحركة العمالية في ليبيا ما هي إلا حزب سياسي غير معلن وهي الفئة المؤهلة لأن تتحول إلى حزب سياسي إذا سمحت الحكومة بذلك^(١٠) إلا أن قلة الوعي النقابي العمالي، وعدم قيام الاتحاد نحو وضع برنامج لتثقيف العمال وإحساسهم بالدور المناط بهم في بناء المجتمع، والدفاع عن حقوقهم - انعدام التفاعل بين القاعدة والقمة في الحركة العمالية، فضلاً عن انحصار عمل الاتحاد في المدن الكبرى مثل: طرابلس، وبنغازي أدى إلى تقلص دوره وذلك مع صدور قانون العمل عام ١٩٦٢، إذ حل القانون المذكور الاتحاد الليبي للشغل، وفتح باب التسجيل أمام النقابات فقط، وهو ما جعل الاتحاد العام ينهي دوره كقوة سياسية واجتماعية.

وشهدت مدن بنغازي، وطرابلس، والزاوية احتجاجات اجتماعية كبرى؛ وذلك خلال الفترة من: ١٣-١٤/١/١٩٦٤، وذلك بسبب سياسات النظام الملكي المهادنة للدول الداعمة «لإسرائيل»، فضلاً عن عدم مشاركة الملك آنذاك في القمة العربية المنعقدة بالقاهرة، فخرجت احتجاجات في بنغازي مطالبة السلطة المركزية بتغيير سياساتها اتجاه الدول الأوروبية الداعمة لإسرائيل، فجُوبهت هذه الاحتجاجات بالرصاص من قبل الشرطة، مما أدى إلى تعاطف وتأييد مجتمعي لها، فامتدت دائرة الاحتجاجات لتشمل مدن طرابلس، والزاوية، مما دفع بالسلطة المركزية بعد عجزها عن مواجهة

(٧) حدد الدستور آنذاك طبيعة الدولة الليبية الناشئة كونها ذات نظام اتحادي - فيدرالي، كما تم إنشاء حكومة اتحادية مركزية للدولة الاتحادية، فضلاً عن حكومات محلية للولايات الثلاث، برقة، وطرابلس، وفزان

(٨) كرفاع، المختار الطاهر، الحركة العمالية في ليبيا، ١٩٤٣-١٩٦٩م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، سلسلة الدراسات المعاصرة (٥) ليبيا، ط ١، ٢٠٠٠، ص ١٣٨.

(٩) المرجع نفسه، ص ١٢٢-١٤٦.

(١٠) المرجع نفسه، ص ١٥١.

تلك الاحتجاجات إلى اللجوء إلى المؤسسة القبلية، فاستطاعت هذه المؤسسة إنهاء الحالة الاحتجاجية في المجتمع، كما برزت أيضاً خلال مرحلة النظام الملكي احتجاجات ضد النظام الفيدرالي، والتأكيد على وحدة البلاد، واحتجاجات معارضة لوجود القواعد الأجنبية في ليبيا، وكذلك احتجاجات لتدخل السلطة المركزية في الانتخابات البرلمانية وقيامها بحالات تزوير كالتى حصلت العام ١٩٦٥م، واحتجاجات عمال النفط، إذ قام اتحاد عمال ليبيا مثلاً: في العام ١٩٦٧م بدعوة عمال النفط لإضراب عام، واشترط العمال بإعادة ضخ البترول بشرط ألا يذهب إلى أمريكا وبريطانيا، وبشكل عام يمكن القول أن ثقافة الاحتجاجات انحصرت خلال العهد الملكي في فئات الطلاب والعمال؛ إذ تجد هذه الاحتجاجات البيئة الحاضنة لها في المدن، في حين يقل تأثيرها في القرى والدواخل، ولم تستطع اختراق النسيج المجتمعي في باقي المناطق والقرى، كما أن الأطر القبلية التقليدية كانت لا تزال لديها الولاء لشخص الملك، في حين لم تتجح الأطر الجديدة خاصة في المدن مثل: النقابات من الإحلال محل تلك الأطر التقليدية القبلية.

■ مرحلة نظام القذافي ١٩٦٩ - ٢٠١١م:

خلال مرحلة حكم القذافي ١٩٦٩ - ٢٠١١م عاش النظام السياسي في ظل خوف من وقوع احتجاجات اجتماعية، والخوف من وجود قوى سياسية قادرة على القيادة المجتمعية للجماهير، وعدت السلطة المركزية أن أي احتجاجات اجتماعية تأتي من خارج دائرتها تعد من ضمن الخطوط الحمراء المحرمة، بالتالي تصبح من الأمور المجرمة، وفقاً لسلسلة من التشريعات والقوانين، ويأتي ذلك خوفاً من تحول الاحتجاجات الاجتماعية إلى دائرة الاحتجاجات السياسية، فصدر قانون رقم (٤٥) لسنة ١٩٧٢م، بشأن تجريم الاحتجاجات، وقانون رقم (١٧) لسنة ١٩٧٢م بشأن تجريم

الحزبية^(١١)، كما قام النظام السياسي من جهة أخرى على السيطرة على النقابات والاتحادات العمالية والطلابية كونها أكثر فئات المجتمع التي تتمتع بثقافة الاحتجاج، فضلاً عن كونها الأكثر فعالية في الفضاءات العامة، وعمل أيضاً على تفرغ تلك النقابات والاتحادات من كوادرها الفعالة، والتي قد تتبنى وجهات نظر مخالفة أو معارضة لها، فخلال الفترة ١٩٧٣ - ١٩٧٥م شهد المجتمع الليبي عدداً من الاحتجاجات الطلابية ضد بعض قرارات وسياسات النظام السياسي، لعل أهمها احتجاجات شهر يناير ١٩٧٦م^(١٢)، في جامعتي بنغازي، وطرابلس، والتي

(١١) نصت المادة (٢) من القانون المذكور على أنه: يعاقب بالإعدام كل من دعا إلى إقامة أي تجمع أو تنظيم أو تشكيل محظور بموجب هذا القانون، أو قام بتأسيسه أو تنظيمه أو إدارته أو تمويله أو أعد مكاناً لاجتماعاته، وكل من انضم إليه أو حرض على ذلك بأية وسيلة كانت، أو قدم أية مساعدة له، وكذلك كل من تسلم أو حصل بطريقة مباشرة أو بطريق غير مباشر بأية وسيلة كانت على نقود أو منافع من أي نوع أو من أي شخص أو من أي جهة بقصد إقامة التجمع أو التنظيم أو التشكيل المحظور أو التمهيد لإقامته. ولا فرق في شدة العقوبة بين الرئيس والمرؤوس مهما كانت درجته في الحزب أو التجمع أو التنظيم أو التشكيل أو الفرقة أو الخلية أو ما شابه ذلك» للمزيد أنظر يمكن الاطلاع: القانون رقم (١٧) لسنة ١٩٧٢، الجريدة الرسمية العدد (٢٩) لسنة ١٩٧٢.

(١٢) خلال شهر إبريل ١٩٧٦م، ألقى العقيد معمر القذافي خطاباً تحريضياً من أجل السيطرة على الجامعات، من قبل ما أسماهم «قوى الثورة»، وهم مجموعة من الطلبة المواليين للنظام السياسي، حيث ذكر «من الغد تعلن الثورة الشعبية في الجامعات من أقصاها إلى أقصاها... وعلى «قوى الثورة» في الجامعات الليبية أن تفرض وجودها في كل كلية، وأن تحسم المعركة لصالح قوى الثورة في الجامعات ابتداءً من يوم الغد... على «قوى الثورة» كما هي واضحة الآن أن تفرض وجودها في كل كلية في الجامعات الليبية وأن تصفي خصوم الثورة غداً.. ابتداءً من يوم الغد، إما أن تبقى «القوى الثورية» في الجامعات الليبية، وإما أن يبقى اليمين الرجعي البرجوازي المرتد» (السجل القومي، ١٩٧٦، ١٢٠)، ولم يمض على ذلك التحريض سوى يومين، وتحديدًا في ٧ أبريل ١٩٧٦، حتى دخل العقيد معمر القذافي جامعة بنغازي مع الموالين له؛ ليعلن من داخلها عن السيطرة على الجامعة، ودحر أي أفكار مغايرة للنظام، كما أصبح يوم ٧ إبريل احتفال سنوي للنظام على دحره للمعارضين له في الجامعات.

تركزت مطالبها في حرية الفكر، والتعبير داخل الجامعات، ورفض ممارسات النظام السياسي المتمثلة في فرض الوصاية، والقيود والهيمنة على الاتحاد الطلابي، وإعادة برمجة التدريب العسكري الإجمالي للطلاب بحيث لا يتعارض مع التحصيل العلمي والحياة الأكاديمية، فقامت السلطة باقتحام الجامعات الليبية في بنغازي وطرابلس وذلك بغية تغيير قيادات اتحاد الطلبة، فحدثت مواجهات صاحبها أعمال عنف أدت إلى قيام السلطة بمحاكمة الطلبة المعارضين لها، فصدر بحق البعض منهم حالات إعدام، كما برزت أيضاً في السنوات اللاحقة من عمر النظام السياسي السابق عدد من الحركات الاحتجاجات العنيفة غير المنظمة، والتي تفتقر إلى التنظيم والقيادة والاستمرارية، مثل: احتجاجات المدينة الرياضية ١٩٨٩م، بمدينة طرابلس عندما قامت السلطة بإلغاء مباراة كرة القدم بين الفريق الوطني الليبي والفريق الجزائري؛ إذ استعملت قوات الأمن الرصاص لتفريق المحتجين الغاضبين، وكذلك احتجاجات أهالي مدينة الزاوية العام ٢٠٠٠م، ضد سياسات السلطة المركزية «بالسماح» لبعض الأفارقة بالتعدي على أملاك الليبيين، وكذلك احتجاجات أهالي مدينة بنغازي بتاريخ ٢٠٠٦/٢/١٧م، ضد الرسومات المسيئة للرسول محمد ﷺ، كما أن السلطة المركزية لم تسع إلى دراسة الحركات الاحتجاجية ومعالجة مسبباتها، إنما دأبت على قمع تلك الاحتجاجات بالرصاص، أو محاكمات صورية بعيداً عن المحاكم المدنية، حتى وصلت إلى حد استخدام سياسة العقاب الجماعي لبعض المدن، والقبائل في حال قيام أحد أفرادها بالخروج في احتجاجات اجتماعية، ومن هنا يمكن القول أن الحركات الاحتجاجية الاجتماعية كان يتم التعامل معها كونها مسألة أمنية وليس اجتماعية، وبالتالي يتوجب القضاء عليها، حتى وإن كان سياق الاحتجاج هو سياق يسمح فيه بإمكان التعبير، مثل:

الاحتجاجات ضد الرسومات المسيئة للرسول محمد ﷺ، أو احتجاجات مشجعي كرة القدم، فالاحتجاجات أياً كان نوعها وهويتها، فإنه يُنظر إليها من قبل السلطة كشكل من أشكال المعارضة السياسية تمثل خطراً على استمراره، بالتالي يتوجب القضاء عليها.

لقد بدأت المؤسسة القبلية بالظهور في الحياة السياسية بشكل بارز ومعترف به من خلال قيام السلطة المركزية باستحداث مؤسسة سياسية تحت مسمى «القيادة الشعبية الاجتماعية»، وضمت جُل القبائل الليبية، لتكون هي المرجعية في حال حصول احتجاجات في المجتمع، كما تولى قيادة هذه المؤسسة ضباط عسكريون موالون للنظام، وفي هذا الصدد يقول القذافي «بأن اختيار أفراد هذه المؤسسة يكون من الذين» كلمتهم مسموعة، وإذا قالوا للناس: أخرجوا يخرجون، وإذا قالوا ادخلوا بيوتكم يدخلون...، مثلما أبو الأسرة يقول لأسرته: اخرجوا من هذا البيت، أو ادخلوا هذا البيت، أو تعالوا هنا يصدقوه. «كما بين القذافي بأن هذه المؤسسة تعد أهم مرجعية دستورية»، حيث مارست هذه المؤسسة الضغوط على بعض القبائل من أجل تأكيد دعمها ومساندتها لرأس السلطة، وذلك مع حدوث أي احتجاجات مجتمعية، كما عمدت السلطة المركزية سنة ١٩٩٧م إلى إصدار قانون سمي بـ (قانون ميثاق الشرف)، الذي نصت أحد بنوده على «إنزال عقوبات جماعية على أقارب، وعائلات، وقبائل، وقرى، ومناطق أي شخص يتهم بمعارضته السياسية للنظام، ويمكن أن تشمل هذه العقوبات السجن وهدم البيوت، والتهجير القسري إلى مناطق أخرى نائية»^(١٣)، كما أصبحت الاحتجاجات في عهد القذافي في بعض الأحيان أداة حكومية لتحقيق

(١٣) محامون من أجل العدالة في ليبيا، تقرير حول حرية التعبير في ليبيا شوهده في ٢٠١٧/١٢/٢٤م، في: [http://www.libyanjustice.org/downloads/Publications/sawti-report-\(ar\).pdf](http://www.libyanjustice.org/downloads/Publications/sawti-report-(ar).pdf)

■ مرحلة ٢٠١١م - ٢٠١٤م:

خلال مرحلة (٢٠١١م)، شهد المجتمع الليبي حركات احتجاجية، فكانت بدايتها كما سبق وذكرنا احتجاجات افتراضية، ومن ثم انتقلت إلى احتجاجات واقعية، طالبت بالإصلاح كمرحلة أولى، ومن ثم المطالبة بسقوط النظام السياسي في مرحلة لاحقة، كما اتسمت أيضاً بحضور البعد القبلي، مما يعني وجود حاضنة اجتماعية ترتقي بالحركات الاحتجاجية إلى حالة ثورية، وبالتالي القدرة على الحشد والتأييد، ومن ثم التنظيم والتفاوض مع السلطة المركزية، ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى ثلاث مراحل رئيسة وهي:

مرحلة الانطلاق: وهي مرحلة الحركات

الاحتجاجية الافتراضية، وذلك من خلال ما يسمى بالمجتمع الافتراضي باستخدام الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت)، والاستفادة من قدرات مواقع التواصل الاجتماعي التنظيمية، إذ تم تأسيس عدد من الصفحات على مواقع التواصل الاجتماعي، تطالب بضرورة إحداث إصلاح في النظام السياسي، كما تطرقت تلك الصفحات أيضاً إلى الاتفاق على زمان وأماكن تجمع الحركات الاحتجاجية، وكيفية الاستفادة من خبرات الحركات الاحتجاجية في كل من تونس ومصر، وكيفية مواجهة قوات الأمن، فتم تحديد يوم ١٧ فبراير موعداً لانطلاق حركات احتجاجية على الفيس بوك في كل أنحاء البلاد، وذلك قبل أسابيع من انطلاقها على تضاريس الواقع، فأصبح هناك احتجاجات افتراضية ضمت العديد من الأفراد، ووصل في بعض الأحيان إلى عشرات الآلاف من خلال تفاعل اجتماعي رقمي له خصائصه التكنو- اجتماعية^(١٥).

بعض الأهداف السياسية للسلطة نفسها، إذ تقوم بعض مؤسسات السلطة، بالدعوة إلى الاحتجاج بغية الاستنجاد برأس السلطة ضد أي سياسات أو قرارات صادرة عن الحكومة، أو المطالبة بالتأكيد بتنفيذ بعض السياسات الداخلية أم الخارجية الصادرة أيضاً من رأس السلطة، وفي العادة تأتي هذه الدعوات من مكتب اللجان الثورية^(١٤)، فكانت الفضاءات العامة تمتلئ بعدد كبير من المحتجين، جلهم من طلبة المدارس والجامعات، وبالإجمال يمكن القول أن الاحتجاجات الاجتماعية في عهد القذافي عبرت في مضمونها عن وجود طرف مهمش، وطرف آخر يقمع، وفي سياق تطور المشهد الاحتجاجي في مرحلة ما قبل (٢٠١١م)، ظهرت في المجتمع الليبي العديد من الحركات الاحتجاجية المطالبة المعبرة عن مطالب بعض فئات، أو احتجاجات بعض المواطنين على قرارات السلطة المركزية، وجاء هذا السماح بعد تبني السلطة الانفتاح والتغيير من خلال عرض مشروع «ليبيا الغد» ولعبت الضغوط الخارجية دوراً في دفع السلطة نحو ذلك السماح، فبرزت خلال هذه المرحلة بعض الاحتجاجات المحددة، مثل: حركة احتجاجات أهالي سجناء أبو سليم، وحركة احتجاجات أهالي الأطفال المصابين بمرض الإيدز، إلا أن هذه الحركات لم تستطع الانتقال إلى أن تكون حركات اجتماعية؛ وذلك لافتقارها إلى العناصر الأساسية من التأييد والحشد المجتمعي، كما أنها لم تتمكن من صياغة تلك الاحتجاجات في رؤية وأهداف محددة.

(١٤) وهو أقرب إلى الحزب الحاكم للنظام القذافي، حيث تصدر عنه توجيهات أو ما يعرف «بالتعليمات» إلى المؤسسات الدولة كافة، والمؤسسات التعليمية بشكل خاص بشأن خروجها في مظاهرات تكون محددة الهدف من قبله.

(١٥) مرجين، حسين سالم، ليبيا من الدكتاتورية إلى الحرية، شركة النيل للإعلان، طرابلس، ٢٠١٢، ص ٢٣.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة الانتقال من حركات احتجاجية افتراضية إلى حركات احتجاجية واقعية، وهي بداية الفعل الاجتماعي، والتي بدأت من خلال التجمع في أماكن محددة مكاناً وزماناً سلفاً، كما ركزت هذه الحركات خلال هذه المرحلة حول الكثير من القضايا مثل: الحرية، والتعددية الديمقراطية، كما صاحب ظهور هذه الحركات الاحتجاجية الكثير من المظاهر، نذكر منها الفنية مثلاً، كظهور أغنيات (الرأي) وهي أغاني حماسية تنادي بحرية التعبير، والعدالة الاجتماعية، ومقاومة الظلم، كما أنها لا تملك سوى بعض المطالب السياسية الجزئية المحددة؛ لأنها اتسمت أساساً بأنها حركات لا يجمعها بالضرورة إطار سياسي موحد أو مرجعية سياسية واحدة، وإن الإصباغ ذات أبعاد أخلاقية قيمية في آليات عملها؛ إذ أكدت جلها على سلمية عملها، ورفضها للعنف، ومناداتها بتحقيق مطالبها من خلال القنوات الرسمية، وتتنقل هذه الحركات لتشمل أكثر من مدينة وقرية في حالة عدوى شبه عامة حول المطالب نفسها، أما فيما يتعلق بأساليب عمل الحركات الاحتجاجية خلال هذه المرحلة فتتمثل بالتظاهرات ورفع الشعارات من جهة، ورفض الانصياع لأوامر النظام، والعصيان المدني، وتحدي السلطات، بل مواجهتها في العديد من الأحيان بالاشتباك المباشر عن طريق استخدام أساليب المواجهة البسيطة من جهة أخرى، في حين حاول النظام السياسي أن يظهر الاحتجاجات وكأنها لا تعدو أن تكون أكثر من أعمال شغب، وانتهاك لحرمة القانون تقوم بها فئة قليلة من المخربين أو المدمنين أو عناصر القاعدة هدفهم إفساد السلم الاجتماعي والإضرار بمصالح الغالبية الذين يتوقون إلى الهدوء والبعد عن الفوضى والولاء للنظام^(١٦).

المرحلة الثالثة: بدأت هذه المرحلة مع ارتفاع وتيرة استخدام القوة من قبل النظام السياسي، وبشكل مفرط في محاولاته الرامية إلى إجهاد تلك الاحتجاجات، وخاصة في مدن مثل: البيضاء، وبنغازي، ومصراتة، والزاوية، والزنتان؛ إذ استطاعت هذه الحركات الاحتجاجية (هذه المرة) اختراق النسيج المجتمعي الليبي^(١٧)، بسبب الحصول على التأييد القبلي لها نتيجة لاستخدام القوة المفرطة من قبل النظام السياسي، فضلاً عن تزايد دعوات المجتمع الدولي للتدخل، وإسقاط الشرعية عن النظام السياسي، والذي استند إلى قرارات مجلس الأمن رقمي ١٩٧٠ - ١٩٧٣م، فأصبح العامل الخارجي يقوم بدور الميسر والمحفز للاحتجاجات المجتمعية، مما أسهم في رفع القبول المجتمعي لها لدى مختلف المناطق والقرى في ليبيا، فتجلى ذلك الاختراق في مجموعة البيانات والشعارات والأغاني والكتابات... إلخ، كما أن ما يميز هذه الحركات الاحتجاجية هو طابعها السياسي والمتمثل في شعارها «الشعب يريد إسقاط النظام»، إلا أنها افتقدت لوجود مشروع وطني لماهية التغيير المراد تحقيقه، أو نوعية النظام السياسي البديل، ولكون المجتمع القبلي أقوى من مؤسسات الدولة استطاع هذا المجتمع في مرحلة انهيار السلطة المركزية أن يحيط بالسلطة الجديدة «المكتب التنفيذي» حتى تمر أزمة سقوط السلطة المركزية، فكانت تلك اللحظات مشحونة بالخطر على ليبيا الوطن، فتخطى اعتبار دواعي الوحدة والسلامة الوطنية غيرها من الاعتبارات، ولعل ذلك استفز الوعي في المجتمع القبلي، بغية تقادي الفتنة والفوضى وانقسام الوطن.

كما اتسمت مرحلة ما بعد (٢٠١١م)، بتفتق وظهور عدد من الحركات الاحتجاجية وبأشكالها

(١٧) المرجع نفسه، ص ٢٦-٢٧.

(١٦) المرجع نفسه، ص ٢٥-٢٦.

المتنوعة التي استفادت من نصوص الإعلان الدستوري الصادر في ٣ أغسطس ٢٠١١م^(١٨)، الذي فسح مجال الحرية أمامها، فتميزت بتنوع مجالات فضائها وتعدد الهويات، فضلاً عن مطالب ذات بُعد فئوي، وأحياناً قبلي أو مناطقي، ويعد قطاع التعليم أبرز القطاعات التي شهدت تناسلاً مطرداً للحركات الاحتجاجية، أو ما يمكن تسميته بالاحتجاجات السوسيو مهنية، في حين تمحورت مطالب بعض الاحتجاجات الأخرى حول الأمور الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو الدينية، أو الثقافية، كما أصبح هناك تأثير واضح لتلك الاحتجاجات على السلطة المركزية، فأصبحت بعض تلك الاحتجاجات أقرب إلى جماعات ضغط تدفع بالسلطة المركزية نحو مراجعة بعض سياساتها وتوجهاتها وممارساتها السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والدينية... إلخ، إذ تتميز جماعات الضغط عن الحركات الاجتماعية بكون أهدافها محدودة، إذ إنها لا تستهدف إحداث تغيير عام في النظام الاجتماعي حسبما يؤكده رادولف هيربل، بقدر ما تسعى إلى استصدار قرارات لصالح جماعة معينة^(١٩)، في حين استطاعت بعض الحركات الاحتجاجية الانتقال كمؤسسات المجتمع المدني، لكنها اتسمت بعدم استمرارية أنشطتها، وتأثيرها المجتمعي، كونها كانت في حاجة إلى وجود مصادر لتمويل برامجها وأنشطتها، فبرزت مثلاً: مؤسسات العام ٢٠١١م، مثل: «جمعية رعاية موظفي الكهرباء»، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجمعية الرابطة الليبية لضحايا التطهير،

(١٨) نصت المادة (١٤) من الإعلان الدستوري على أن «الدولة تضمن حرية الرأي، وحرية التعبير الفردي والجماعي، وحرية البحث العلمي، وحرية الاتصال، وحرية الصحافة ووسائل الإعلام والطباعة والنشر، وحرية التنقل، وحرية التجمع، والتظاهر ولاعتصام السلمي، وبما لا يتعارض مع القانون».

(١٩) إيمان شومان، علم الاجتماع السياسي: دراسة في الحركات الاجتماعية والسياسية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦، ص ٦٨.

في حين برزت مؤسسات خلال العام ٢٠١٢م، مثل: الجمعية الليبية لحماية المستهلك، ومنظمة العدالة الدستورية من أجل ليبيا، ومنظمة العمل الوطني لحماية الثورة ومكافحة الفساد، وائتلاف ثورة السابع عشر من فبراير، واتحاد مهندسي قطاع النفط الليبي، وتجمع موظفي ١٧ فبراير جامعة طرابلس، ومنظمة ليبيا لحماية أهداف ثورة ١٧ فبراير، وتجمع موظفي السكة الحديدية، واتحاد ١٧ فبراير للبريد والاتصالات، واتحاد طرابلس للنقل البري، واتحاد موظفي المؤسسة الليبية للاستثمار، وائتلاف مراقبي وموظفي مراقبة المالية، ونادي القضاة والنيابة بمحكمة استئناف طرابلس، كما برزت في سنة ٢٠١٤م بعض المؤسسات مثل: جمعية طلبة حرب تشاد، ورابطة أسر شهداء ومفقودي ثورة ١٧ فبراير - ترهونه، ورابطة المتقاعدين بالمصرف التجاري الوطني.

■ مرحلة ٢٠١٤-٢٠١٧م:

تصاعد خلال مرحلة ٢٠١٤-٢٠١٧م، الشعور المجتمعي بالإحباط وذلك بسبب دخول البلاد في حالة حرب أهلية، فكان من نتائج ذلك أن أصبح هناك حكومتان الأولى: في البيضاء، والثانية: في طرابلس، كما بدأ هناك أيضاً برلمانان، الأول: في طبرق، والآخر في طرابلس، وبدأ يظهر أيضاً شعور بالتململ يطفو على السطح المجتمعي، تعبيراً عما كان يدور في الأعماق، فعبّرت عنه بعض الاحتجاجات المطالبة، مثل: احتجاجات «فدينا»، أي: صبرنا نفد؛ إذ بدأت الظروف المعيشية وسوء الخدمات العمومية المتمثلة في الانقطاع الطويل للكهرباء، والمياه، وقلة السيولة المالية في المصارف، فضلاً عن تدني النظام التعليمي، والنظام الصحي، كما بدأت تطفو على سطح المجتمع أيضاً حقيقة أخرى، وهي وجود ازدواجية في الحكم، والتي كانت مخفية

قبل ذلك^(٢٠)، فأصبح دور الميلشيات المسلحة واضحاً في المشهد السياسي، كل ذلك دفع إلى أن تكون جل الاحتجاجات خلال هذه المرحلة ذات طابع مطلبية مرتبطة بصعوبة الأوضاع المعيشية اليومية، فضلاً عن تحسين الأوضاع الأمنية التي أصبحت أكثر ضرورة مع تنامي عمليات العنف، كما تزامن كل ذلك مع توسع دائرة الاحتجاجات من قبل أفراد آخرين من المجتمع متضررين، ووصل الأمر ببعض الاحتجاجات إلى القيام بقفل آبار النفط، أو الموانئ، أو المطارات، أو منظومات المياه المركزية، أو قفل الطرق الرئيسية.

وفي مرحلة ما بعد ٢٠١٤م، برزت العديد من الحركات الاحتجاجية المطالبة المعبرة عن مطالب فئات سوسيو مهنية، إذ أصبح يطلق على بعضها اسم التنسيقيات، فتميزت هذه التنسيقيات بصفتي التنظيم والاستمرارية، فاستطاعت تجميع أعضائها بهدف الدفاع عن أهداف محددة، فشاركت فئات عادة ما تكون عازفة عن المشاركة في الاحتجاجات، مثل: الأطباء، وأساتذة الجامعات، ورجال النيابة والقضاة، ورجال الشرطة، وبالتالي أصبح هناك توطين قيم جديدة في المجتمع، وهو ما يمكن تسميته بنشر ثقافة الاحتجاج، كما برزت في المشهد الاحتجاجي خلال هذه المرحلة أيضاً ظاهرة جديدة وهي ما يسميه باتريك شامبان «التظاهر الورقي»^(٢١)، فأصبح هناك فعاليات احتجاجية تتم من خلال إصدار بيانات ونداءات تستهدف التأثير على بعض القرارات، أو الأحداث أو المواقف السياسية

(٢٠) ذكر عبد الرحيم الكيب أول رئيس وزراء بعد ٢٠١١ في تصريح له متلفز إلى أن فشل الحكومة يرجع أهم أسبابه إلى وجود سلطة عليا في البلاد، ولكنه لم يتجرأ آنذاك على تحديدها.
(٢١) ياكوب، محمود، السياسات الاحتجاجية لدى حركات الأوطر في المغرب، حركة الأساتذة المتدربين نموذجاً، ورقة مقدمة إلى المؤتمر الثالث للمجلس العربي للعلوم الاجتماعية منعقد في بيروت خلال الفترة من ١٠-١٢ مارس ٢٠١٧م.

والعسكرية التي أصبحت متسارعة آنذاك، فضلاً عن سعيها نحو كسب داعمين جدد لها.

لقد أصبحت الحركات الاحتجاجية قادرة في كثير من الأحيان على ممارسة التأثير على السلطة المركزية، وهذا متأت من انقسامها بين حكومة شرقية، وأخرى غربية، فأصبحت تلك الاحتجاجات قادرة في كثير من الأحيان على ممارسة وظائف السلطة، مثل: القيام بالدفع نحو إقالة المسؤولين، أو إقرار بعض القوانين، أو إصدار بعض القرارات، كما استمرت عملية انتقال بعض حركات الاحتجاجات كمؤسسات تابعة للمجتمع المدني، إلا أنها افتقدت إلى عامل التأثير المجتمعي، وبقيت مسميات للمجتمع المدني دون أدنى تأثير، ولعل أهم تلك المؤسسات التي برزت خلال ٢٠١٥م مثل: مؤسسة إنقاذ لإغاثة نازحي بنغازي، وجمعية أبطال تحرير ليبيا لفاقي الأطراف، والاتحاد الليبي الدولي لمكافحة الفساد المالي ورد المظالم، ورابطة أسر المفقودين والمعتقلين والمتضررين تاورغاء لحقوق الإنسان، والجمعية الليبية للمتضررين من حجوزات سيارات الحرس الشعبي، والرابطة الليبية لضحايا التعذيب والإخفاء القسري بدولة الإمارات، في حين برزت أيضاً مؤسسات أخرى سنة ٢٠١٦م مثل: الجمعية الليبية لأعضاء الهيئات القضائية، والجمعية الليبية للمتضررين المساهمين في المصارف الأهلية وشركة الاستثمار الوطني.

كما لم تسلم الحركات الاحتجاجات من حالات الاستغلال من قبل بعض الأطراف المتصارعة على السلطة بدواعي سياسية، أو قبلية، أو اجتماعية، أو دينية، أو غير ذلك، فكانت الفضاءات العمومية في جل المدن والقرى الليبية تغم بشعارات، وصور، وكتابات تتم عن اتجاه تلك الاحتجاجات، فمثلاً: كان ميدان الشهداء بطرابلس فضاءً عمومياً يعج بصور وشعارات أحد التيارات الدينية المتشددة، فكانت

تلك الشعارات والكتابات تدعو وتطالب حكومة طرابلس بتقديم المزيد من الدعم للمقاتلين، سواء في بنغازي أم في المنطقة الغربية، وكان أيضاً لا يُسمح بوجود شعارات لغير ذلك التيار، فمثلاً عندما تخرج في بعض الأحيان بعض الاحتجاجات المعارضة لذلك التيار التي تطالب فيه بأفكار معارضة، كان يتم مواجهتها بالرصاص، كما تزايدت في الوقت نفسه عدد الاحتجاجات المطلوبة بصورة متواصلة في جل المدن والقرى الليبية، فأصبحت مفاهيم تحسين الأوضاع المعيشية وتوفير الأمن الكلمات الرئيسية لدى عدد كبير من المحتجين، كما بدأت بعض الحركات الاحتجاجية بالعمل على الاستمرار باستخدام وسائل الضغط لتنفيذ مطالبها، مثل: العمل على قفل الموانئ، أو الآبار النفطية، أو قفل منظومات المياه، أو قفل الطرق الرئيسية، أو قفل مؤسسات حكومية، وأحياناً القيام باختطاف بعض المسؤولين.

إذن ليس غريباً في ظل ضعف السلطة المركزية وانقسامها خلال مرحلة ما بعد ٢٠١٤م، أن تصبح الفضاءات العمومية مجالاً رحباً للحركات الاحتجاجية، ليس في المدن الكبرى مثل: طرابلس وبنغازي فحسب، بل امتدت لتشمل العديد من المدن والقرى الصغيرة التي وصل إليها السخط والتذمر الاجتماعي جراء تردي الأوضاع المعيشية، وتآكل النظام الصحي، والتعليمي، ونظام الخدمات العامة، مما أدى إلى إضعاف وأحياناً أخرى إلى خلخلة «التماسك الاجتماعي»، وأحدث فتوقاً في الروابط الاجتماعية ما بين القبائل، كما استمر إخفاق الحركات الاحتجاجية في الانتقال إلى حركات اجتماعية، كونها لا تزال في دائرة الاحتجاجات المطلوبة ذات البعد الفئوي، أو القبلي، أو المناطقي، ولم تستطع الانتقال إلى دائرة الاحتجاجات السياسية ذات البعد الإصلاحي الشمولي، كما لم تستطع الحركات الاحتجاجية تقديم رؤية سياسية

واضحة ومحددة، فأقصى ما استطاعت فعله في هذا المجال هو التعبير عن حالة عدم الرضا عن الوضع القائم من انقسام السلطة، والحاجة إلى وجود مؤسسات دولة كالجيش والشرطة، كما أنتج هذا الوضع أشكالاً جديدة من الحركات الاحتجاجية ذات التوجه التقسيمي، مثل: حراك برق، وحراك الأمازيغ، وحراك التبو، وقد أدى هذا الأمر إلى انبثاق حركات احتجاجية أخرى مؤكدة على الوحدة الوطنية للمجتمع الليبي، في حين حاولت بعض الحركات الاحتجاجية الانتقال كمؤسسات مجتمع مدني، لكنها لم تكتسب التأييد المجتمعي وبالتالي فإن السؤال الذي يطفو على السطح هنا: ما أهم العوامل التي أثرت في طبيعة، وتكوين الحركات الاحتجاجية، وشكلت من ثم تصوراتها، ورسمت فضاءاتها في المجتمع الليبي؟

المحور الثاني: أهم العوامل التي أثرت في طبيعة وتكوين الحركات الاحتجاجية والاجتماعية، وشكلت تصوراتها ورسمت فضاءاتها في المجتمع الليبي

عند الحديث عن العوامل التي أثرت في طبيعة الحركات الاحتجاجية والاجتماعية في المجتمع الليبي، وبشكل خاص خلال المرحلة ٢٠١١ إلى ٢٠١٧م، فإن ذلك ليس بالمهمة السهلة واليسيرة، إذ توجد العديد من العوامل المتشابكة والمعقدة والتي كان لها التأثير في طبيعة وتكوين تلك الحركات ورسمت فضاءاتها في المجتمع الليبي، بيد أننا إذا أمعنا النظر في ملامح الحركات الاحتجاجية، فسوف نتكشف لنا أهم تلك العوامل، وهي:

- تنطلق جل الحركات الاحتجاجية في المجتمع الليبي من وجود فكرة محورية تنطلق منها، فالأفكار كما يقول مالك بن نبي: تصنع الثورات، وتتمحور هذه الفكرة من وجود بعض السياسات والإجراءات والممارسات الصادرة عن السلطة المركزية التي

تتسم بالاستبداد، وتفشي الظلم البين، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: إن «الظلم مؤذن بخراب العمران»^(٢٢)، ولعل العولمة وتجلياتها مكنت أفراد المجتمع من الاطلاع على كل ما تقوم به السلطة المركزية من سياسات وممارسات، فأصبحت هذه الأفكار ذات تأثير مجتمعي، إذن هناك علاقة جدلية بين الأفكار والأحداث الاجتماعية والسياسية الحاصلة في المجتمع الليبي، فالأفكار غالباً ما تقوم برسم بدايات التكوين للحركات الاحتجاجية والاجتماعية.

• ضعف السلطة المركزية - أو شيخوخة أجهزة الدولة - يعد ذلك من العوامل التي تشجع على القيام بالاحتجاج، كما أنها تؤثر في طبيعة الاحتجاج من آليات الحشد والتأييد، فكلما تبين وجود ذلك الضعف، يتم كسب ود القبائل والمناطق بهدف العمل على حشد التأييد الاجتماعي، كما أن ذلك يساعد على سهولة انتقال الحركات الاحتجاجات إلى حركات اجتماعية ثورية تدفع نحو التغيير، ولعل أهم مظاهر ضعف السلطة المركزية أو شيخوخة الدولة، هي: الفقر، البطالة، تفشي الفساد والمحسوبية، كما قامت الحركات الاحتجاجية والاجتماعية برسم فضائها في الأطراف، وليس في المركز، فحصلت مثلاً في العام ٢٠١١م، في مدن ومناطق مثل: البيضاء، والزنتان، وبنغازي، والزاوية، ومصراته، حتى وصلت بعد فترة إلى المركز، ومرجع ذلك إلى ضعف السلطة ورجالاتها في الأطراف، وقوته في المركز، بالتالي سيكون للدعوة إلى الاحتجاج في الأطراف لها قبول أكثر من المركز، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: «فتقل الحماية إلى تنزل بالأطراف فتتجاسر الرعايا على بعض الدعوة في

الأطراف، ويبادر الخوارج على الدولة من الأعياص وغيرهم إلى تلك الأطراف، لما يرجون حينئذ من حصول غرضهم إلى تلك القاصية لهم، وأمنهم من وصول الحماية إليهم، ولا يزال ذلك يندرج ونطاق الدولة يتضايق حتى تعد الخوارج في أقرب الأماكن إلى مركز الدولة».

• قيام السلطة المركزية بمحاولات الإصلاح والاعتراف الضمني بوجود الحاجة إلى التغيير، فتصبح تلك الفضاءات الإصلاحية مجالاً رحباً لزيادة حدة الحركات الاحتجاجية، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: «قد يتنبه كثير من أهل الدول ممن له يقظة في السياسة، فيرى ما نزل بدولتهم في عوارض الهرم، ويظن أنه ممكن الارتقاء، فيأخذ نفسه بتلافي الدولة وإصلاح مزاجها، عن ذلك الهرم، ويحسبه أنه لحقها بتقصير من قبله من أهل الدولة وغفلتهم وليس كذلك، فإنها أمور طبيعية للدولة».

• ساعد الانفتاح العالمي وذوبان الحدود وتطور وسائل الاتصال المختلفة كالإنترنت، والفضائيات، والهواتف النقالة، والسرعة المذهلة في تطورها، ووصولها إلى فئات المجتمع كافة، كل ذلك أسهم في سهولة تثقيف الفرد وتوعيته وإطلاعه على حقوقه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومن ثم ساعد في تخفيف حدة صبغة الانقياد والتسليم للسلطة المركزية.

وعموماً، فإن ما يعنينا الإشارة إليه في هذا الخصوص هو أن هناك عدة عوامل تؤثر في طبيعة وتكوين الحركات الاحتجاجية الاجتماعية في المجتمع الليبي، وتشكل تصوراتها وترسم فضائها،

(٢٢) عبد الرحمن بن خلدون. مقدمة ابن خلدون، بيروت: منشورات دار مكتبة الهلال، ١٩٨٢، ص ١٨٥.

(٢٣) المرجع نفسه، ص ١٩٠.

(٢٤) المرجع نفسه، ص ١٩٠.

إلا أن أهم تلك العوامل يتمثل في دور مؤسسة القبيلة، فتجتاح أي احتجاج اجتماعي مرهون بالدرجة الأولى على عمليات القبول والتأييد والاستقطاب والقبلي، لتتم بعد ذلك عمليات التغيير وصولاً لتحقيق الأهداف، فالمجتمع القبلي كما وسبق وذكرنا كان وما زال أقوى من السلطة المركزية.

المحور الثالث: عمليات القبول والتأييد للحركات الاحتجاجية والاجتماعية في المجتمع الليبي مرهون باستقطاب القبيلة

قبل التطرق لمناقشة هذا التساؤل، نود التذكير بجذلية العلاقة بين الدولة والقبيلة في المجتمع الليبي، وهنا نود سرد قصة، وهي آلية تعامل السلطة المركزية العام ٢٠١١م مع الاحتجاجات الاجتماعية التي عمت جل المدن والقرى الليبية، بعد عجز السلطة عن معالجة تلك الاحتجاجات من خلال الأجهزة الأمنية، لجأت إلى مؤسسة القبيلة، وهنا نعود لتأكيد مسلمة سبق وأن ذكرناها، وهي أن المجتمع القبلي كان وما زال أقوى من السلطة المركزية، فتم إيفاد (مثلاً): وزير الداخلية عبدالفتاح يونس، ووزير العدل مصطفى عبدالجليل إلى المنطقة الشرقية، ليس كوزير داخلية بالنسبة للأول، ووزير عدل بالنسبة للثاني، إنما كأفراد لأهم قبائل المنطقة الشرقية، والحال أيضاً بالنسبة للمنطقة الغربية، كما تم إيفاد أشخاص إلى الزنتان، ومصراته، والزاوية ليسوا كمسؤولين في أجهزة السلطة، إنما لانتمائهم لتلك القبائل والمناطق، وبالتالي فإنه من المهم جداً معرفة مكانيزما دور مؤسسة القبيلة في فهم طبيعة واتساع الحركات الاحتجاجية في المجتمع الليبي، فضعف السلطة المركزية وليس -مؤسسات الدولة- جعلها تخفق في احتواء الحركات الاحتجاجية العام ٢٠١١م، وهذا يعني ببساطة أنه عند قيام الحركات الاحتجاجية حدث فجوة بين مجال السلطة المركزية -أجهزة الدولة-، والمجال القبلي،

فالمجتمع القبلي كان ولا يزال أقوى من السلطة المركزية فكانت الغلبة لمؤسسة القبيلة على السلطة المركزية - ونجحت الحركات الاحتجاجية في استقطاب القبائل، مما أسهم في النهاية إلى سقوط حكم القذافي، وسقوط أجهزة السلطة المركزية، دون أن ننكر هنا الدور الخارجي من دعم ومساندة في عملية سقوط السلطة المركزية، بعد التأكد من وجود حالات التنسيق بين قوى الاحتجاج والقبائل، وإذا أضفنا إلى كل ما سبق حقيقة أخرى وهي أنه لا يوجد لدى السلطة المركزية - ونقصد هنا بالتحديد رأس السلطة - الحاكم - فاصل بين الدولة، ومن يقود تلك الدولة، أي «النظام السياسي»، فكلاهما واحد، فالرئيس الليبي مثلاً: أعاد مقولة لويس الرابع عشر: «أنا الدولة والدولة أنا»، ولكن بمنطق آخر، وهو التأكيد على كونه يُمثل «رب هذه العائلة»، أي «الدولة والسلطة»، ولعل لجوء السلطة المركزية للقبائل في معالجة الحركات الاحتجاجية بعد فشل الأجهزة الأمنية، يُبين بأن العصبية تحتل المرتبة الأعلى لدى رأس الحكم أو السلطة المركزية، وبالتالي عندما استطاعت الاحتجاجات العام ٢٠١١م، إسقاط وتفكيك بنية النظام الحاكم في ليبيا، فإن ذلك كان يعنى بالضرورة انهيار وسقوط الدولة برمتها، لأن كليهما واحد، وهذا الأمر يبين لنا مدى إخفاق النظام السياسي السابق في بناء وترسيخ مؤسسات وأجهزة الدولة بعيداً عن الوعي العصبية، وهذا الأمر ليس بالجديد، فالنظام الملكي السابق هو أيضاً لم يستطع بناء مؤسسات وأجهزة دولة قوية، فكان يتم الالتجاء في كثير من الأحيان إلى مؤسسة القبيلة في نزع فتيل بعض الحركات الاحتجاجية، وهنا ربما نتذكر الاحتجاجات الكبرى العام ١٩٦٤م، وإخفاق مؤسسات الدولة آنذاك في حلها، فتم الالتجاء مباشرة إلى مؤسسة القبيلة.

المحور الرابع: مستقبل الحركات الاحتجاجات والاجتماعية في المجتمع الليبي

بادئ ذي بدء، نحن في حاجة إلى عرض التساؤلات الحقيقية تواجه مستقبل الحركات الاحتجاجية والاجتماعية في المجتمع الليبي والتي ربما تجعل منها مجرد احتجاجات مطلبية لا ترتقي إلى مشروع إصلاح وطني طموح، فما مستقبل الحركات الاحتجاجات الاجتماعية في المجتمع الليبي؟ وماذا نريد من الحركات الاحتجاجية والاجتماعية في المجتمع الليبي؟

إن السؤال المعروض يحتاج منا إلى وقفة للتدبر لضمان حركات احتجاجية واجتماعية أكثر فعالية وتأثيراً في المجتمع الليبي، فهناك حاجة إلى ضرورة انتقال حركات الاحتجاجات من الأطر الفئوية، والقبلية، والمناطقية نحو حركات اجتماعية تمتلك مشروعاً إصلاحياً سياسياً وديمقراطياً شاملاً في المجتمع، فالحركات الاحتجاجية التي تكاد تكون ظاهرة يومية في مرحلة ما بعد ٢٠١٤م، تعبر في جوهرها عن وجود وعي مجتمعي يحاول تجاوز أزمة ضعف السلطة المركزية، كما يُعبر في الوقت نفسه عن هشاشة السلطة المركزية، وغياب أجهزة الدولة؛ وهذا الوعي المجتمعي هو رأس المال الذي كان متوفراً أبان الحراك المجتمعي ٢٠١١م، وهو الذي أسهم في سقوط السلطة المركزية، إذ كان

ذلك الوعي متحداً في قالب واحد، فكان لذلك تأثير ديناميكي في السعي نحو «سقوط السلطة المركزية»، وخلال مرحلة ما بعد ٢٠١٤م لاحظنا حصول تشتت وضياح ذلك الوعي المجتمعي، مما أدى إلى انهيار وتقهقر الحراك المجتمعي نتيجة لحصول صراعات على السلطة فيما بعد، مما أدى إلى تبديد رأس المال -الوعي المجتمعي-، وبالتالي فإن الوعي المجتمعي -رأس المال- كان بحاجة إلى إعادة الالتفاف -حول أفكار- تتضمن مشروعاً وطنياً إصلاحياً شاملاً، لتخطي حالات الانقسام في الحياة السياسية التي فرضتها حالة الصراع الأهلي على السلطة منذ ٢٠١٤م، كما تبرز أيضاً الحاجة إلى ضرورة القيام بالبحث عن آليات وأساليب جديدة، تساعد على عمليات الحشد والتأييد المجتمعي، وبشكل خاص في المناطق والقرى خارج المدن الكبرى، كما أن حالات التملل والاستياء المجتمعي نتيجة لضعف السلطة المركزية الحالية وانقسامها ربما تسنح لإعادة الالتفاف حول -أفكار- تعمل على تكوين مشروع وطني إصلاحي، يُعاد فيه صياغة عقد اجتماعي جديد، مرتكزاته الأساسية إعادة تقويم العلاقة بين مفهومي القبيلة، والدولة، بغية تجاوز المرحلة الصعبة من تاريخ المجتمع الليبي.

المراجع

١. ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، بيروت: منشورات دار مكتبة الهلال، ١٩٨٣ م.
٢. أبوصوة، محمود، مدخل لتاريخ ليبيا العام - جدلية المجال والهوية، طرابلس- ليبيا، دار الرواد، ٢٠١٢ م.
٣. إيمان شومان، علم الاجتماع السياسي: دراسة في الحركات الاجتماعية والسياسية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦ م.
٤. حميدة، علي عبداللطيف، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا، الطبعة الثانية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، ١٩٩٨ م.
٥. الشويكي، عمرو وآخرون. الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي، (مصر - المغرب - لبنان - البحرين - الجزائر - سورية - الأردن)، طبعة الثانية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٤ م.
٦. فرويد، جوليان، سوسيولوجيا ماكس فيبر، ترجمة جورج أبي صالح، بيروت: مركز الإنماء القومي.
٧. كرفاع، المختار الطاهر، الحركة العمالية في ليبيا، ١٩٤٣-١٩٦٩ م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، سلسلة الدراسات المعاصرة (٥) ليبيا، ط ١، ٢٠٠٠ م.
٨. مرجين، حسين سالم، ليبيا من الدكتاتورية إلى الحرية، شركة النيل للإعلان، طرابلس، ليبيا، ٢٠١٢ م.
٩. مرجين، حسين سالم، آفاق سوسيولوجية على متن الحراك المجتمعي العربي، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد ٩، العدد ٢، ٢٠١٦ م.
١٠. ياكوب، محمود، السياسات الاحتجاجية لدى حركات الأوطر في المغرب، حركة الأساتذة المتدربين نموذجاً، ورقة مقدمة إلى المؤتمر الثالث للمجلس العربي للعلوم الاجتماعية منعقد في بيروت خلال الفترة من ١٠-١٢ مارس ٢٠١٧ م.

برنامج إثرائي لتحسين معلمة رياض الأطفال من الآثار السلبية للصددمات النفسية

د. رشا سيد حسين محمد الجندي - مصر

مدرس الصحة النفسية بكلية الطفولة المبكرة
جامعة بني سويف

dr.rashaelgendy@gmail.com

ملخص البحث باللغة العربية



لكي ينشأ الطفل سوياً نفسياً وقادراً على مواجهة ضغوط الحياة بطريقة صحية وخالية من العنف والأمراض النفسية، فلا بد وأن تكون معلمته هي أيضاً سوية وقوية نفسياً، ولذا هدف البحث الحالي إلى بناء برنامج إثرائي ومعرفة ما فاعليته في تحسين معلمة رياض الأطفال من الآثار السلبية للصددمات النفسية. اقتصرت حدود الدراسة على الطالبات الملمات بالمرحلة الرابعة بكلية التربية للطفولة المبكرة بجامعة بني سويف بمصر والبالغ عددهن (٥٠) طالبة معلمة. في مجموعة واحدة تجريبية تعتمد على القياسين القبلي والبعدي. وقد استغرق تطبيق البرنامج شهر وثمانية أيام بواقع خمس جلسات في الأسبوع في أثناء الفصل الدراسي الثاني لعام ٢٠١٦-٢٠١٧. تم استخدام المنهج الوصفي في مراجعة وتحليل المحاور المتعلقة بالبحث ووضع الإطار المبدئي للبرنامج. ثم استخدام المنهج التجريبي ذو المجموعة الواحدة للتأكد من التأثير الإيجابي للبرنامج على نفسية معلمة الروضة. واشتملت أدوات البحث على (استمارة تفريغ المشاعر الداخلية لمعلمة الروضة للكشف عن الآثار السلبية للصددمات النفسية - ومقياس كرب ما بعد الصدمة لدافيسون). وأكدت نتائج الدراسة على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية قبل تطبيق البرنامج وبعده على مقياس كرب ما بعد الصدمة لصالح التطبيق البعدي. وللتحقق من صحة هذا الفرض تم استخدام اختبارات للعينات المرتبطة. وبذلك يتأكد وصول البحث لأهدافه التي تم إجراءه لتحقيقها.

الكلمات المفتاحية: برنامج إثرائي، التحسين النفسي، الصدمات النفسية.

ABSTRACT

The current research aims to create program sessions and measure the effect of the program to immunization of female students from the negative effects of shocks at early childhood college. The importance of this program came from what the scholars indicated about the dangers of shocks on human psychological system. as this will affect the kids when those students become teachers later. The researcher felt the problem through her direct relation and her work with the female college students. This problem shows through different ways for example (feeling bored, the feeling of having no energy for giving, laziness, not taking care of her external appearance as a female, not having the feeling of enjoying the life, hide their feelings, their reactions to the problems are extreme, preferring loneliness sometimes, being shy, they have no self confidence, being nervous sometimes, anxiety, hair falling, loosing appetite or eating continuously and much more other symptoms). Those female students also explained their emotional problems directly to the researcher also to clear this point. They also could not know the reasons for their problems. The sample of this research includes fifty female students from Bani suief University. In this program, the researcher used one group for the experimental method. She also used a measurement for measuring their emotional before and after. The program consists of thirty meetings and it was known by the place, time, and content. The researcher used a bunch of methods and materials for example (psychodrama, music, drawing, imagination, sports and some examples of some famous people who suffered from emotional problems before becoming famous). At the conclusion, the results showed the success of the program to aim the target of the research. Under the umbrella of previous students. The research was finished and introduced some advices to those who may concern about the human health and the children affairs for example (Aiming to spread this program in Childhood College).

Key Words: Enriching program, Psychological Immunization, shocks.

مقدمة

الآثار السلبية للصدمات النفسية، ومن ثم تحصينهن ضدها لضمان السلام النفسي لطفل الروضة ومن ثم السلام المجتمعي فيما بعد.

وفي ضوء ما سبق يمكن بلورة التساؤل الرئيسي لمشكلة الدراسة فيما يلي :

ما فاعلية برنامج إثرائي لتحسين معلمة رياض الأطفال من الآثار السلبية للصدمات النفسية؟

ويتفرع منه التساؤل الفرعي الآتي:

١- هل توجد فروق بين متوسطي درجات معلمات المجموعة التجريبية بين القياسين القبلي والبعدي لكرب ما بعد الصدمة؟

أهداف الدراسة

بناء على ما سبق ذكره فإن الهدف الرئيسي للدراسة هو:

- تحسين معلمة الروضة ضد الآثار النفسية السيئة المترتبة على تعرضها للصدمات الحياتية من خلال برنامج إثرائي.
- توضيح أهم الصدمات الحياتية المؤثرة سلباً على معلمة رياض الأطفال.

أهمية الدراسة

تمثلت أهمية الدراسة الحالية في أهمية الجانب الذي تصدت لدراسته نظرياً وعملياً.

فمن الناحية النظرية يتصل موضوع الدراسة الحالية اتصالاً مباشراً بالأحداث الجارية عالمياً. حيث يكشف البحث عن الواقع النفسي السلبي الغير مرئي بداخل معلمات رياض الاطفال، والذي يؤثر لاشعورياً على طريقة تعاملهم مع الأطفال. ومن الناحية العملية يقدم الخطوات الإجرائية للوصول بنفسية هؤلاء المعلمات إلى مرحلة الأمان لضمان تخلصهم من مشاعرهم وذكرياتهم السلبية المكبوتة بداخلهم ولا يتمكنون من التعبير عنها، وبالتالي ضمان السلامة النفسية لطفل الروضة، الذي يتأثر

لكي يعيش الإنسان بصفة عامة الحياة بمعناها الحقيقي، ويستمتع بها، لا بد وأن يكون بصحة نفسية جيدة، وهذا يؤدي بدوره إلى صحة جسمانية خالية من الأمراض. ولكي ينشأ الطفل سوياً نفسياً وقادراً على مواجهة ضغوط الحياة بطريقة صحية وخالية من العنف والأمراض النفسية، فلا بد وأن تكون معلمته هي أيضاً سوية وقوية نفسياً وذلك من منطلق أنه في أغلب الأحيان «فاقد الشيء لا يعطيه». ولكن إن أردنا استكمال المقولة بأن «فاقد الشيء لا يعطيه أو يعطيه بشدة» فبالنظرة علينا بالاهتمام بالمشاكل النفسية لمعلمات رياض الأطفال، لتأهيلهم التأهيل السليم للتعامل مع الأطفال بطريقة صحيحة.

(رشا الجندي، ٢٠١١ : ١٤٠)

مشكلة البحث

لقد أسفر التعامل المباشر للباحثة مع الطالبات المعلمات لرياض الأطفال، عن وجود مشكلة نفسية لديهن، وتتمثل هذه المشكلة في أن هؤلاء المعلمات يكتمن بداخلهن الكثير من المشاعر غير صحية والذكريات السلبية، وذلك نتيجة لتأثير صدمات تعرضن لها على مدار سنوات حياتهن ولم يجدن من يساعدهن على التخلص من الاضطرابات السلبية المترتبة بداخلهن بناء على تعرضهن لهذه الصدمات. كما أن الباحثة من خلال تعاونها المجتمعي مع مؤسسات الإعلام والصحافة، والتي كانت تتلقى من خلالها المشكلات النفسية للناس لتقديم الحلول لهم، اكتشفت بأن نسبة لا يستهان بها من طالبات ومعلمات رياض الأطفال، تتحدثن بصراحة ووضوح عن أحاسيسهن السلبية التي يشعرن بها، ولكنهن غير قادرات على التخلص منها. والتي بدورها أثرت تأثيراً سلبياً على تحصيلهن الدراسي ومن ثم حياتهن الشخصية وبالتالي العملية فيما بعد.

والواقع السابق استثار الباحثة لضرورة بناء برنامج مقترح لتخليص معلمات رياض الأطفال من

كما عرفها (مايكنبوم: ١٩٩٤ D, Meichenban) الصدمة بأنها عبارة عن حوادث شديدة أو عنيفة تعد قوية ومؤذية ومهددة للحياة، بحيث تحتاج هذه الحوادث إلى مجهود غير عادي لمواجهتها والتغلب عليها. كما عرفها كلاً من (فيشر وريدسر: ٢٠٠٩) في الكتاب التعليمي لعلم الصدمة على أنها: (تناقض حيوي بين تهديد العوامل الظرفية والإمكانات الفردية للتغلب عليها، والتي ترافقها مشاعر العجز والاستسلام عند المصاب وهكذا تتسبب في اهتزاز فهم الذات والعالم).

(سهير كامل، ٢٠٠٧: ٤٤)

حدود الدراسة

تقتصر حدود الدراسة الحالية على الطالبات الملمات بالمرحلة الرابعة بكلية التربية للطفولة المبكرة بجامعة بني سويف والبالغ عددهن (٥٠) طالبة معلمة. في مجموعة واحدة تجريبية تعتمد على القياسين القبلي والبعدي. وقد استغرق تطبيق البرنامج شهر وثمانية أيام بواقع خمس جلسات في الأسبوع في أثناء الفصل الدراسي الثاني لعام ٢٠١٦-٢٠١٧.

الدراسات السابقة

توجد دراسة اجراها (Brady:1996) بهدف معرفة العلاقة بين الشعور بالوحدة النفسية وبعض المتغيرات لدى عينة من المراهقات تضمنت ١٥٠مراهقة، تراوحت أعمارهن ما بين «١٨-٢١عام» وذلك بولاية نيوجيرسي بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد جاء ضمن نتائج الدراسة أن التعلق الآمن المستقر بالوالدين يرتبط بانخفاض مستوى الشعور بالوحدة النفسية، كما أن ارتفاع مستوى الشعور بالوحدة النفسية يرتبط باضطراب العلاقات الأسرية. كما أجرى (بيرنت وآخرون 1998, Arias, Calhoun, Ronfeldt Bernat) دراسة بهدف معرفة العلاقة بين الأحداث الصادمة التي

بمعلمته تأثراً كبيراً كما أكدت جميع الدراسات النفسية السابقة.. ومن ثم فهذا البرنامج سيضع أمام صناع القرارات التربوية جلسات إرشادية نفسية عامة، أن قاموا بتفعيلها كبرنامج أساسي لا بد على معلمة رياض الأطفال اجتيازه قبل استلامها للوظيفة. وبالتالي سيكون لتعليمه بالمؤسسات التعليمية ضمان لصحة نفسية سليمة للمعلمة والطفل وبالتالي الرقى بمجتمعاتنا.

فرض الدراسة

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات معلمات المجموعة التجريبية بين القياسين القبلي والبعدي لكرب ما بعد الصدمة.

مصطلحات البحث

البرنامج الإثرائي Enriching program

المقصود به في هذا البحث إجرائياً (مجموعة من الجلسات المحددة العدد والمحتوى والزمان والمكان والمتنوعة في أساليبها وأدواتها بطريقة متسلسلة من قبل الباحثة لضمان التحصين النفسي لمن يتعرض لهذه الجلسات من الآثار السلبية للصدمة الحياتية).

التحصين النفسي

المقصود به في هذا البحث إجرائياً (تغيير الاتجاهات والاعتقادات تجاه المواقف الحياتية الواقع حدوثها والتي من شأنها التأثير السلبي على الصحة النفسية للإنسان).

الصدمة النفسية: Trauma

وتعرفها الباحثة إجرائياً على أنها (المواقف الحياتية المفاجئة التي يتعرض لها الإنسان وتكون ضد توقعاته التي يرغب فيها وبالتالي يترتب عليها ضرر نفسي لهذا الإنسان).

مدى انتشار أعراض ضغط ما بعد الصدمة عند طلبة جامعة السلطان قابوس، واستكشاف أثر بعض المتغيرات الديموغرافية لدى طلبة جامعة السلطان قابوس، على عينة مكونة من (٥١٢) طالباً وطالبة، وأظهرت نتائجها أن مستوى انتشار أعراض اضطراب ضغط ما بعد الصدمة لدى عينة الدراسة كان متوسط بنسبة بلغت ٥٩,٢٥ %.

وعلى كافة مجالات الآثار السلبية للتعرض للصدمة النفسية فلقد وضحت الدراسات السابقة مدى معاناة الطلبة من صعوبات التعامل مع الأحداث الصادمة، وأن معظم الأفراد قد مروا في مرحلة ما من مراحل حياته بعوامل وأحداث صادمة وضغطية، وبينت الدراسات وجود تباين في حدة تأثير الأحداث الصادمة التي أدى بعضها إلى ظهور أعراض سلوكية كنوع من اضطرابات ما بعد الصدمة والتي تلازم الإنسان في مراحل لاحقة من حياته إذا لم يتم سرعة التدخل الإرشادي النفسي للشفاء والتحصين منها.

الإطار النظري

المحور الأول: الصدمة النفسية

إن المواقف السلبية غير المتوقعة الحدوث في الحياة هي السبب الرئيسي للهزة النفسية (الجرح النفسي) (الصدمة النفسية) للإنسان والعكس صحيح ففقد النفس تأتي من قوة الواقعية، فعندما يفكر الإنسان بواقعية يكون أكثر تقبلاً لأحداث الحياة بمعنى أنه يصبح صلباً ضد صدماتها بعدما يدرك أن الموت واقع، الحرب واقع، الفراق واقع، المرض واقع، والنفاق، والخيانة، والكذب عند بعض الناس واقع، والفقر واقع... إلخ. وبالتالي فالإنسان تصيبه الصدمة النفسية وتتأثر صحته بالسلب عندما يكون غير متوقع حدوث الكثير من الأمور، وإنما أي شيء تتوقع حدوثه في يوم ما وتندرب على كيفية التصرف تجاهه، فعندما يحدث بالفعل لا تصيبك صدمة وإنما تكون محصن نفسياً من اضطراباتك وبالتالي تحافظ على صحتك النفسية.

يمر بها الإنسان في حياته وبعض سماته الشخصية. وكانت العينة غير إكلينيكية ومكونة من (٩٣٧) طالب وطالبة، وأظهرت نتائج الدراسة أن ٦٧ % من الطلبة قد مر على الأقل بخبرة حدث واحد صادم. كما تبين بأن الأحداث الصادمة السابقة وخصائص الشخصية للفرد لها ارتباط بأعراض ما بعد الصدمة، وأنهم عانوا من الأعراض الوجدانية لضغط ما بعد الصدمة والمتمثلة في القلق والاكتئاب والانسحاب.. كما أجرى (Donald: 2005) دراسة تهدف للتعرف على أعراض ما بعد الصدمة للطلاب والطالبات المقيمين بالبحر الجامعي. وكانت من أهم النتائج أن ٥٥ % من الطلبة المقيمين في الحرم الجامعي قد مروا بأحداث شديدة الضغط، وأن الطالبات كانت أكثر تعرضاً لها، ومن أبرز اضطرابات ما بعد الصدمة التي ظهرت عليهم كانت القلق، الاكتئاب، الانسحاب الاجتماعي، الشعور بالضغط النفسي والارهاق العام.. وفي دراسة أجراها (هازل وآخرون، ٢٠٠٨) Najman (Brennan, Hammen, Hazel) بهدف التعرف على تأثير صدمات الطفولة على شخصية الإنسان فيما بعد. تكونت العينة من (٧٠٥) طالب وطالبة ممن تعرضوا لحوادث وخبرات صادمة في مرحلة الطفولة المبكرة، أظهرت النتائج أن الطلبة الذين تعرضوا لإعتداء في طفولتهم، ظهرت لديهم مشاعر اكتئابية متمثلة في الانسحاب والشعور بالوحدة النفسية وهم في عمر (١٥ : ٢٠ عام) كما أظهرت نتائج الدراسة وجود عالقة ارتباطية موجبة بين التعرض للصدمة في مرحلة الطفولة وبين ظهور المشاعر الاكتئابية عند أفراد الدراسة. وأجرى (مقدادي: ٢٠٠٨) دراسة بهدف التعرف على العلاقة بين الوحدة النفسية ومشاعر الاكتئاب على عينة من ٥١٠ طالب وطالبة من جامعة آل البيت في الأردن، وأظهرت نتائجها بأنه توجد فروق دالة إحصائية بين الذكور والإناث في الشعور بالوحدة النفسية، وأن مستوى الشعور بالوحدة النفسية أعلى عند المكتئبين مقارنة بغير المكتئبين. كما أجرى (الخواجه والبحراني: ٢٠٠٨) دراسة هدفت إلى الكشف عن

- ضعف شديد في ممارسته مهنته كمعلم أو محامي أو سياسي أو فنان... إلخ أو أب أو أم مما يسبب ضعف في صحة نفسية من يتولى رعايتهم أو قيادتهم.

(علاء كفاي، ٢٠٠٣: ٢٢-٣٠)

المحور الثالث: أساليب التحصين ضد الصدمات والتخلص منها

أولاً: الواقعية

لا بد وأن تكون صريح مع أفكارك فتقل لنفسك دائماً (إن أردت أن تحيا بعالم بدون مشكلات فأنت بذلك تبحث عن الجنة وليس الآخرة وإن أردت بشر بدون أخطاء فأنت بالتالي تبحث عن ملائكة وليس بشر) فكل شيء في هذه الحياة توقع حدوثه فلا تقل إن ابنك دائم لك طوال العمر ولم يمت أبداً لأن هذا غير واقع ولا أحد يعلم من سيحيا عمراً أطول من الآخرين ولا تتعامل مع أشياءك على أنها دائمة ولذا فعليك أخذ احتياطاتك من كل شيء فلا تسجل كل الأرقام المهمة لك على هاتفك المحمول فقط لأن ربما يتم سرقته في يوم ما، وهذا لا يعني عدم الحفاظ على هاتفك المحمول وإهماله وإنما النسيان سمة خلقها الله في الإنسان.

إن تعاملت مع الحياة بواقعية فهذا سيجعل قلبك غير معلق إلا بالدائم وهو الله الحي الذي لا يموت وبالتالي إن شاءت الأقدار بالحرب في وطنك فستكون محصناً نفسياً من ذلك لأنك قد توقعته أو خطر ببالك في يوم ما، وإن شاءت الأقدار وفقدت غالي عندك فسوف لا تصيبك صدمة، وهذا يعني أنك لا تحزن وتتألم ولكن الحزن والألم أحياناً يكون صحيحاً جداً للإنسان ولكنك سوف لا تصاب بصدمة بمعناها الحقيقي الذي يجعلك تفقد حياتك من بعدها.

وتوجد في علم النفس نظرية التحصين التي تطورت على يد العالم ويليام ماجواير عام ١٩٦١م لتقديم مزيد من التفسير لكيفية تقويم الاتجاهات والاعتقادات التي يعتنقها المرء وبناء مقاومته ضد الحجج المضادة التي يقابلها بالمستقبل والأهم من ذلك كيفية الحفاظ على ثبات التغيير، ويجب أن تكون الحجة المقدمة أثناء التحصين قوية بدرجة تسمح بإطلاق الدافع للحفاظ على الاتجاهات والاعتقادات القائمة. وقد أثبت التحصين نجاحاً خلال التجارب والأبحاث المختلفة، وبالرغم من ذلك ما زالت النظرية بحاجة إلى تحسينها ووضع فرضيات جديدة.

(خليل معوض، ٢٠٠٣: ٦٣-٨٨)

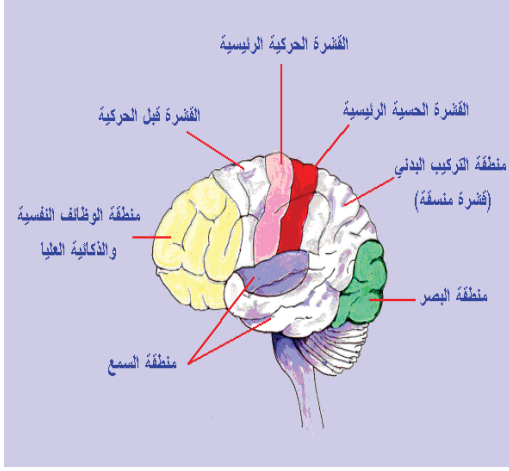
(ليلى كرم الدين، ٢٠٠٤: ١٢-٣٤)

المحور الثاني: مخاطر وأعراض الصدمات النفسية على الإنسان

إن لم يتم التحصين النفسي للإنسان ضد الصدمات النفسية يؤدي هذا إلى ظهور الكثير من الأمراض وحدوث الكثير من المخاطر أهمها ما يلي:

- تشكيل أعراض نفسية مكثفة بداخله تضاف للذكريات المؤلمة بحياته مما يؤدي إلى إصابته بالأمراض النفسية التي تسبب الكثير من المعاناة. وأشهر هذه الأمراض ما يسمى باضطراب ما بعد الصدمة كما يمكن لأمراض أخرى بعد الصدمة أن تظهر.
- الإفراط في المشاعر والسلوكيات السلبية (الغضب، صعوبة التركيز، الخوف، الانعزال... إلخ).
- الحذر العاطفي (انخفاض القابلية على: الحب، الفرح، الصداقة... إلخ).
- تبدل المشاعر تجاه ما يستحق (كالحزن الطبيعي تجاه الفراق أو الموت أو الفشل... إلخ).

أن الإنسان أضعف من هذه الأشياء لما أمره بالابتعاد عنها. انظر إلى رسم مخك وكيف كرمك الله..



(رسم مخ الإنسان)

رابعاً: استخدام العقل الباطن

العقل الباطن (Unconscious mind) ويسمى أيضاً: العقل اللاوعي، واللاشعور، وهو مفهوم يشير إلى مجموعة من العناصر التي تتألف منها الشخصية، بعضها قد يعيه الفرد كجزء من تكوينه، والبعض الآخر يبقى بمنأى كلي عن الوعي. ويحتوي العقل الباطن على المحركات والمحفزات الداخلية للسلوك، كما أنه مقر الطاقة الغريزية الجنسية والنفسية فضلاً عن الخبرات المكبوتة.

سيكولوجية العقل الباطن



فتوقع حدوث كل شيء واستعد للتعامل مع الحياة بكل الظروف وبالتالي عليك أن تعد نفسك جيداً ومن حولك على التعامل مع كل ظروف الحياة فإن كنت من الأغنياء فعليك أن تستمتع بنعم الله - تبارك وتعالى عليك ومنها نعمة المال وعلبك أن تجرب يوماً ما العيش كالفقراء لأن دوام الحال من المحال وتدريب أبناءك على ذلك (تأقلم مع كل الظروف).

ثانياً: التأمل

وهو ممارسة يقوم بها الإنسان للحصول على فوائد ذهنية وصحية ومعنوية، فهو تمرين مهم ومفيد للجسم والعقل والروح يعطي الشعور بالاسترخاء والهروب من ضغوط الحياة ويساعدك على اتخاذ القرارات السليمة.

والإنسان إن أراد أن يحيا بصحة نفسية جيدة عليه أن ينفرد بنفسه للتأمل يومياً فيما لا يقل عن ١٥ دقيقة. والتأمل قد يكون في الطبيعة التي خلقها الله لنا للاستمتاع بها وقد يكون في البشر والمواقف والظروف المحيطة.

إن الأشخاص الذين يوفرون في يومهم وقت للتأمل ويجعلونه من أساسيات الحياة كالطعام والشراب والتنفس هم يتمتعون بصحة نفسية أفضل ممن يفعلون العكس.

ثالثاً: البعد عن كل ما يذهب العقل

من الأفكار السائدة أن الكحوليات والمخدرات والحشيش والبانجو... إلخ هي التي تخلص الإنسان من ضغوطه وتنقله للسعادة والنسيان أفكار خاطئة ولا يتبناها أو يؤمن بها إلا ضعاف النفوس والعقول والشخصيات، فالخالق عز وجل خلق الإنسان وكرمه عن الحيوانات بالعقل، ولو يعلم أن هذه الأشياء هي التي تسبب له السعادة فما حرمها عن نفسه ولو يعلم

العقل الباطن بداخل كل منا تحكمه مجموعة من القوانين التي إذا تم استخدامها بالفعل تكون أنت وقتها قد وصلت لقوة العقل الباطن وهي القوة التي تجعل منك شخصية ساحرة قوتها تغلب قوة العالم بكاملة.

القوانين التي تحكم العقل الباطن:

- قانون التفكير المتساوي

يرتكز هذا القانون على أن الأشياء التي تفكر بها وتتخيلها بعقلك الباطن ستجعله ترى شبهها بالضبط بالواقع، لأن أي شيء تتوقعه وتضع معه شعورك وأحاسيسك سوف تعمل على إرسال ذبذبات تحتوي على طاقة والتي ستعود إليك من جديد ومن النوع نفسه.

- قانون الانجذاب

ويرتكز على أن أي شيء تفكر به سوف ينجذب إليك بالمقدار نفسه الذي فكرت به، أي أن العقل يعمل كالمغناطيس، فإن كنت مثلاً تفكر بأنك ستري حاكم دولة أو فنان أو شخص يبعد عنك مسافات وركزت كل طاقتك تجاه ذلك فإنه بالفعل سيحدث. ويعد هذا القانون من أخطر القوانين، لأنك يمكنك استغلال هذا القانون في الخير وفي الشر.

- قانون المراسلات

يعني أن عالمك الداخلي «تفكير وشعور» هو الذي يؤثر على عالمك الخارجي «سلوك ومواقف وردود أفعال»، فإذا تبرمج الإنسان بطريقة إيجابية يجد أن عالمه الخارجي يؤكد له ما يفكر به وكذلك الأمر إن تبرمج بطريقة سلبية.

- قانون الانعكاس

ويرتكز على أن العالم الخارجي عندما يرجع إليك بطاقة سلبية فهذا بالفعل سوف يؤثر على عالمك الداخلي ولكن هذا التأثير بإمكانك أن ترفضه

وتحوله لطاقة إيجابية تنقل لمن أمامك، ويكون الناتج هو سيرد إليك طاقة إيجابية في وقتها. ومثال لذلك: عندما تقابل أحد الأصدقاء وتسأله كيف حاله؟ فيجيب بأنه مريض ويشعر بالاكئاب وغير سعيد، فتجيب فوراً: أنا لست بمريض أنا أراك أمام عيني بصحة جيدة.. ابتسم وأقدم معي سوف ننجز شيئاً يساعدك... إلخ بالتالي سوف تجد منه رد فعل إيجابي لأنك أعطيته طاقة إيجابية تصادمت مع طاقته السلبية ولكنها استطاعت أن تهزمها. وهذا يعتمد على قوة طريقتك بالحديث وقوة ملامحك في التعبير عن ما تقوله بالفعل، فلا تستخدم ملامح الحزن أو الضعف ولكن تحدث بصوت واضح يعطى من أمامك الإحساس بالثقة في كلامك.

- قانون التركيز

يعني هذا القانون أن ما تركز عليه وتولية اهتمامك ستحصل عليه أي أنه بإمكانك أن تركز على أي شيء سواء كان إيجابياً أو سلبياً فإن ركزت على أنك فاشل فستظل فاشلاً بالفعل وإن ركزت على أنك ستنجح فستنجح بالفعل مهما كان هدفك خيالي.

- قانون الاعتقاد

والذي يقول أن أي شيء تعتقد حدوثه بشكل متكرر وتضع معه شعورك وأحاسيسك سوف يتبرمج في مكان عميق جداً في العقل الباطن لديك، كمن لديه اعتقاد بأنه غير محبوب من الآخرين، فيجد أن هذا الاعتقاد أصبح يخرج منه ودون أن يشعر وبشكل أوتوماتيكي ليحكم بعد ذلك سلوكك وتصرفاتك، وسترجع أي تصرف تجاهك من الآخرين إلى أنهم لا يحبونك وستمر المواقف إلى أن تصل بالفعل إلى أن تصبح غير محبوب من الآخرين، مع أن هذا الشعور ببدايته كان شعوراً غير صحيح فأنت الذي خلقتة وصدفته وبدأت تعيش الحياة به إلى أن أصبح أمراً واقعاً، وهذا الاعتقاد لا يمكن أن يتغير إلا بتغيير التفكير الأساسي الذي أوصلك لهذا الاعتقاد، وهو ما يسمى في علم النفس «بالعلاج المعرفي».

- قانون العادات

ويرتكز هذا القانون على أنه من السهل أن تكتسب عادة ما ولكن من الصعب التخلص منها، ولكن العقل الذي تعلم هذه العادة بإمكانه أن يتخلص منها وبالأسلوب نفسه.

- قانون الفعل ورد الفعل (قانون السببية)

فأي سبب سوف يكون له نتيجة حتمية وأنت عندما تكرر نفس السبب سوف تحصل بالتأكيد على نفس النتيجة، أي أن النتيجة لا يمكن أن تتغير إلا إذا تغير السبب، ونذكر هنا مقولة (من الخطأ أن تحاول حل مشكلاتك بنفس الطريقة التي أوجدت هذه المشكلة).

- قانون الاستبدال

وهذا القانون يمكنك استخدامه إذا أردت تغيير أي قانون من القوانين السابقة حيث بإمكانك أن تأخذ أي قانون من هذه القوانين وتستبدلها بطريقة أخرى من التفكير الإيجابي، فمثلاً لو كنت تتحدث مع صديق لك عن شخص ما وتقولون عنه بأنه إنسان سلبي هل تدري ما الذي فعلته؟! أنت بذلك أرسلت له ذبذبات وأرسلت له طاقة تجعله يتصرف بطريقة أنت تريد أن تراها، وبالتالي عندما يتصرف هذا الشخص بطريقة سلبية تقول: رأيت هاهو يتصرف بطريقة سلبية ولكنك أنت الذي جعلته يتصرف بهذه الطريقة؛ لذا علينا الانتباه جيداً إلى قوانين العقل اللاواعي لأنه بإمكانك جعلها تعمل ضدك أو لصالحك.

خامساً: كن من أصحاب الكاريزما

كلمة (Charisma) في أصلها اليوناني تعني الهدية أو التفضيل. وهذه الكلمة ترتبط بالشخصية البشرية فلا يمكن أن نصف بها حيوان غير عاقل أو جماد ولكنها تنسب إلى البشر فقط، وسبب ذلك

يرجع إلى أن الشخصية التي تمتلك كاريزما تكون شخصية ساحرة ينقاد وراءها الآخرون وينبهرون بها دون معرفة سبب هذا الانقياد، فإذا قابلت شخصية كاريزمية بحياتك ستجد نفسك من الوهلة الأولى تنقاد وراءها وتصدق أقوالها وأفعالها دون التشكيك في مصداقيتها، وتشعر بداخلك وكأنك وجدت الشخصية التي ستحتويك وتلبي احتياجاتك، كما ستجد نفسك تتمنى أن تكون مثل هذه الشخصية ولديك شغفاً كبيراً في محاولة معرفة كيف تتصرف هذه الشخصية بالمواقف المختلفة لكي تتصرف أنت أيضاً مثلها، فتصرفها من وجهة نظرك سيكون هو التصرف المثالي والأصح لحل المشكلات وللتكيف مع البيئة، وغالباً ما ستشعر مع هذه الشخصية بالأمان الذي يجعلك لا تشعر بالخوف بوجودها.

فصاحب الكاريزما يمتلك (قوة خارقة داخلية وليست خارجية) في جذب الآخرين والتأثير عليهم لإقناعهم بما يريد، وبالتالي فأصحاب الكاريزما يفضل استغلالهم في مهن التمثيل لإقناع المشاهدين بالدور الذي يلعبونه على الشاشة، ويقاس على ذلك مهنة الإعلام بصفة عامة فضلاً عن المهن القيادية بكل المجالات ومهنة التدريس بالمدارس والجامعات... إلخ فهم يحققون بها نجاحاً ملحوظاً دون غيرهم.

فهي بالفعل هبة من الله عز وجل فتذكر دائماً عزيزي القارئ حديث النبي ﷺ، قال: ((إذا أحب الله تعالى العبد، نادى جبريل، إن الله تعالى يحب فلاناً، فأحبيه، فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض)) متفق عليه.

أما عن الجانب السلبي في استغلال الكاريزما فقد نجد من يستغل امتلاكه لهذه القوة الخارقة في عمليات النصب والسيطرة على العقول بأفكار وأساليب تضر المجتمعات والأفراد.

(رشا الجندي، ٢٠١٥، ٨٩: ٢٩)

(شوقي الشريفي، ٢٠٠٠: ١٢-٦٤)

(فادية علوان، ٢٠٠٣: ٤٥-٨٨)

المنهج والعينة والأدوات

- تكونت العينة من «٥٠» طالبة معلمة من طالبات الفرقة الرابعة لكلية الطفولة المبكرة، وتم اختيارهن بطريقة عشوائية.

نتائج الدراسة

توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية قبل تطبيق البرنامج وبعده على مقياس كرب ما بعد الصدمة لصالح التطبيق البعدي. وللتحقق من صحة هذا الفرض تم استخدام اختبار (ت) للعينات المرتبطة ويوضح الجدول التالي نتائج ذلك:

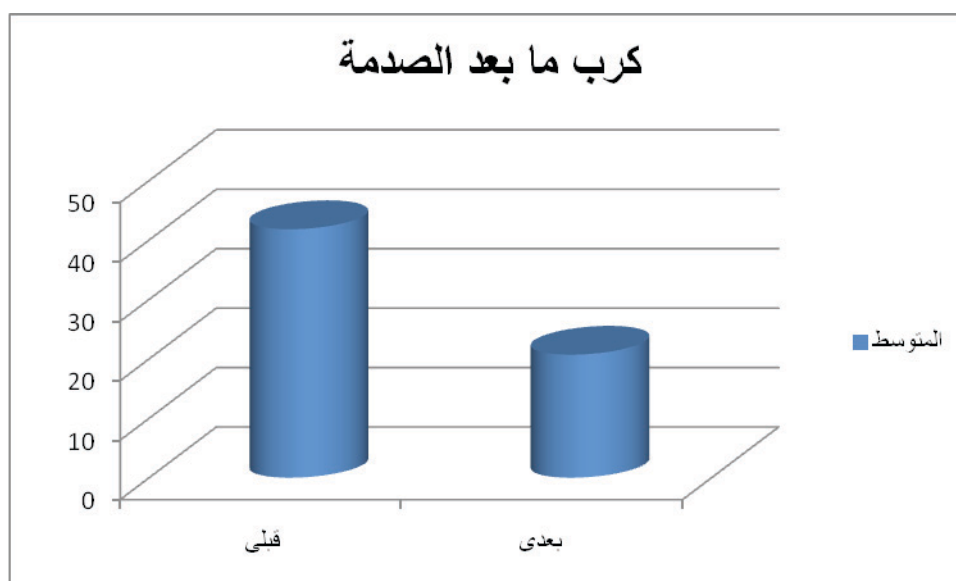
جدول رقم (١)

نتائج اختبار «ت» لدلالة الفروق بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية في القياسين القبلي والبعدي على مقياس كرب ما بعد الصدمة

التطبيق	المتوسط	الانحراف المعياري	متوسط الفروق	الانحراف المعياري للفروق	الخطأ المعياري للفروق	«ت»
قبلي	٤١,٨٢	١٠,٨٢	٢١,١٢	٩,٢٢	١,٣٠	١٦,١٩**
بعدي	٢٠,٧٠	٦,٣١				

** دالة عند مستوى ٠,٠١

يتضح من الجدول السابق وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى دلالة (٠,٠١) بين متوسطي درجات المجموعة التجريبية قبل تطبيق البرنامج وبعده على مقياس كرب ما بعد الصدمة لصالح التطبيق البعدي؛ حيث إن متوسط البعدي أقل من متوسط القبلي.



تفسير النتائج ومناقشتها

لقد اتضح من نتائج الدراسة السابقة قبول صحة الفرض الذي تم افتراضه لها، وثبت نجاح فاعلية البرنامج الذي قدمته الباحثة في الدراسة للطالبات المعلمات بهدف تحصينهن من الآثار السلبية للصدمات النفسية. لقد كانت أفراد العينة لديهم مشاعر سلبية متراكمة وفقاً لصدمات تعرضن لها في مراحل سابقة وتم كتمها بداخلهن ولن يتم التعبير عنها ولا التخلص منها، لقد تراكمت هذه المشاعر السلبية بداخلهن على مدار سنوات، وكانت لها أعراضاً سلوكية، وأثبت القياس القبلي باستخدام «مقياس كرب ما بعد الصدمة» هذا الأمر. ولقد ساعد البرنامج الحالي على التخلص بنسبة كبيرة من هذه المشاعر السلبية، وأثبت القياس البعدي باستخدام «مقياس كرب ما بعد الصدمة هذا الأمر».

التوصيات

- توصي الباحثة جميع الكليات المتخصصة في رياض الأطفال بتعميم برنامج الدراسة الحالي كبرنامج تدريبي للطالبات قبل التخرج والعمل والتعامل مع الأطفال.
- توصي الباحثة الجهات المهتمة بالصحة النفسية للإنسان بالتعرف على برنامج الدراسة الحالي الذي تم استخدام استراتيجيات وأساليب فيه تناسب الإنسان بصفة عامة.
- توصي الباحثة الباحثين من بعدها المهتمين بمجال معلمات رياض الأطفال بضرورة الاهتمام بعمل برامج لتنمية المشاعر الإيجابية لمعلمة الروضة واستخدامه كدورة تدريبية تقدم بعد هذا البرنامج للطالبات المعلمات بكليات رياض الأطفال قبل التخرج، وللمعلمات رياض الأطفال قبل التوظيف، وللمعلمات رياض الأطفال الحاليات.

البرنامج المقترح

أولاً: التعريف بالبرنامج

تعرفه الباحثة إجرائياً على أنه مجموعة من الجلسات المصممة بدقة والمحددة الزمان والمكان بهدف تحصين معلمة رياض الأطفال من الآثار السلبية للصدمات النفسية. بطريقة تدريجية تشتمل مجموعة من الخطوات كالآتي:

- ١- (التفريغ) بالتعبير عن المشاعر الشعورية واللاشعورية المكتومة باستخدام وسائل التعبير المختلفة.
- ٢- (التصنيف) تصنيف الحالات المتشابهة والمختلفة.
- ٣- (التحديد) تحديد الاحتياجات الجماعية والفردية.
- ٤- (التطبيق) تنفيذ الجلسات وفقاً للتصنيف والتحديد.
- ٥- (التقويم) للتأكد من انتهاء الآثار السلبية للصدمات.
- ٦- (التحصين) ضد أي صدمات جديدة في المستقبل.

ثانياً: المسلمات السيكلوجية للبرنامج

١- الفروق الفردية: هناك حقيقة ثابتة لا يمكن إغفالها عند التعامل مع معلمات رياض الأطفال أن التفرد هو السمة المميزة لكل نفس، فكل إنسان مخلوق ينفرد في طبيعته عن الآخر، من حيث أسلوب تعبيره عن مشاعره وكذلك الطريقة التي تناسبه في التأثير عليه. ولذا فمن المستحيل أن نجد شخصين متشابهين تمام التشابه حتى التوأم المتطابق، فالتناسق بتفردهم أشبه ببصمات الأصابع، ومن هنا فلقد راعت الباحثة في إعداد البرنامج الحالي بناء جلسات البرنامج بصورة متنوعة في محتواها لكي تناسب الشخصيات والميول والاستعدادات المختلفة.

٢- الدوافع: إن إثارة دافعية الإنسان للمشاركة في جلسات البرنامج تعد من الأمور أو العوامل المهمة التي تساعد على الوصول للهدف. ولذا كان على البرنامج أن يحقق مقداراً عالياً من الاستثارة باستخدام الطرائق المختلفة التي تضمن حماس المتلقين لعدم الخجل أو الهروب من المشاركة.

٣- التعزيز: للتعزيز دوره الفعال في برنامج البحث الحالي حيث أكدت النظريات على أهمية التعزيز عند قيام الإنسان بالسلوكيات المرغوبة، على أن يكون التعزيز الذي ترغبه المعلمة وفقاً لمرحلتها العمرية، فمن الممكن أن تختلف معززاتهم وفقاً لاحتياجاتهم النفسية. كمن يرحب بأن يكون قائداً كدليل على أدائه الجيد. ومن يرحب بأخذ جرعة عاطفية بالاحتضان. ومن يرحب بالتعزيز المعنوي بالكلمات وهكذا.

ثالثاً: الإطار التجريبي للبرنامج

أ- المحتوى العام للبرنامج: يتضمن البرنامج ٣٠ جلسة.

ب- المحتوى الزمني للبرنامج: سيتم تطبيق البرنامج في مدة (شهر وثمانية أيام) بمعدل (خمس جلسات بالأسبوع) لمدة (٦٠) دقيقة في اليوم.

ت- مكان البرنامج: هذا البرنامج لا بد وأن يجهز له مكاناً خاصاً ذا مساحة كبيرة بقدر الإمكان وفقاً لإمكانيات المؤسسة التي تقوم بتطبيقه. ويتم تقسيمه من الداخل لغرف بها عازل للصوت وموسيقى وشاشة عرض فيديو النماذج، وخشبة مسرحية ومكان للرقص وبيانو عزف وأدوات رسم وجزء خاص للتكسير، فضلاً عن ركن فارغ لتجهيز وسائل التعبير الأخرى التي من المحتمل ظهورها وفقاً للبيئة المطبق عليها البرنامج. وتقدم المجموعة الأخرى من الجلسات خارجياً بالمؤسسات المجتمعية وفي الطبيعة الخارجية وفقاً لأفضل الأماكن الطبيعية في كل مدينة.

(محتوى البرنامج)

رقم الجلسات	الأهداف	الاستراتيجيات المستخدمة	الوسائل المستخدمة
٥ : ١	- التمهيد. - التعرف على الواقع الداخلي للطلّابات. - بداية التعبير عن المشاعر المكبوتة.	- الحوار والمناقشة. - اللعب. - التعزيز. - الإيحاء. - التعبير الحر. - السيكودراما.	- المسرح. - شاشة عرض. - بطاقات تعارف. - كرة. - استمارة الملاحظات.
٦ : ١٠	- التعرف على الواقع النفسي لكل طالبة على حدا. - مواجهة الطالّابات بمشكلاتهن النفسية. - أن تتأكد الطالّابات من وجود آخرين يعانون من نفس مشكلاتها.	- التفرغ النفسي كدراسة حالة مصغر. - المواجهة.	- أركان القاعة. - جهاز العرض. - التقرير الخارجي.
١١ : ١٥	- أن يذكر المتدربون أكثر الصدمات الحياتية الواقعية. - أن يبتكر كل فرد حل لصدمة من الصدمات الحياتية للآخر. - أن يتعاش الحضور مع نماذج أخرى متشابهة ومختلفة مع صدماتهم.	- التخلص من الكتمان. - المواجهة. - استفزاز التعبير عن المشاعر. - المعايشة.	- عربة الانتقالات. - الأركان. - بطاقات الملاحظة.
١٦ : ٢٢	- أن يتخلص المشاركون من ضغوط جلسات المواجهة بممارسة رياضة اليوجا. - أن يشارك المرشد النفسي المتدربين في جلسة رياضة اليوجا. - أن يمارس أفراد المجموعة رياضة الرقص الحر. - أن يتعرف أفراد المجموعة على العقل الباطن وقوانينه ويتناقش حولها ويقمن بتجريبها.	- الرقص. - اليوجا. - التطبيق العملي.	- مجموعة من الأغاني والموسيقى المتنوعة التي تناسب كل المشاعر والحالات الصاخبة لتفريغ العنف. - الموسيقى الهادئة للاستجمام وإعادة الحسابات. - سماعات تكبير الصوت. - جهاز تشغيل الموسيقى. - الأركان المجهزة.
٢٣ : ٢٨	- القضاء على الآثار السلبية للصدمات النفسية. - بداية التقييم.	- خط الزمن. - النموذج.	- غرفة المراقبة الخفية. - التقرير الخارجي. - شاشة العرض.
٢٩	- أن تعرض كل طالبة مشروع مستقبلي لها أمام الأخريات. - التقييم.	- العرض. - الحوار والمناقشة.	- استمارات التقييم.
٣٠	- التعبير عن الشعور بالبرنامج ومدى التغيير.	- الاحتفال.	- أدوات الاحتفال كما يختارونها الطالّابات.

المراجع

- ١- الشريفي، شوقي السيد (٢٠٠٠) : قاموس مصطلحات العلوم التربوية، الرياض، مكتبة العبيكان للنشر.
- ٢- علوان، فاديه (٢٠٠٢). مقدمة في علم النفس الارتقائي. القاهرة: الدار العربية للكتاب.
- ٣- كفافى، علاء الدين وبن موسى، صالح ومرسى، هناء وكفافى، وفاء محمد (٢٠٠٣). مهارات الاتصال والتفاعل في عمليتي التعليم والتعلم. الأردن: دار الفكر.
- ٤- معوض، خليل ميخائيل (٢٠٠٣). علم النفس الاجتماعي. الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب.
- ٥- كرم الدين، ليلي (٢٠٠٤). خصائص النمو في مرحلة الطفولة المبكرة وأثرها على شخصية الطفل. أوراق الورشة الإقليمية نحو استراتيجية إسلامية موحدة لرعاية الطفولة المبكرة. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ٥-٨ سبتمبر. المغرب: مطبعة المعارف.
- ٦- مقدادي، يوسف (٢٠٠٨). الوحدة النفسية وعلاقتها بالاكئاب لدى عينة من طلبة كلية العلوم التربوية بجامعة آل البيت. مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة البحرين، ٩(٢)، ١٩٥-١٧٥.
- ٧- أحمد، سهير كامل (٢٠٠٨). سيكولوجية نمو الطفل دراسة نظرية وتطبيقات عملية. الرياض: دار الزهراء.
- ٨- الخواجه، عبدالفتاح ومنى البحراني (٢٠٠٨). اضطراب ضغط ما بعد الصدمة لدى طلبة جامعة السلطان قابوس في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية. بحث مقبول للنشر، مجلة العلوم التربوية والنفسية. البحرين.
- ٩- الجندي، رشا سيد (٢٠١١). التوافق النفسي وعلاقته بمفهوم السلام لدى أطفال الروضة من خلال تحليل رسوماتهم-دراسة كينيكية. القاهرة: كلية رياض الأطفال، جامعة القاهرة.
- ١٠- الجندي، رشا سيد (٢٠١٥). ضد الصدمات. القاهرة: الدار للنشر والتوزيع.

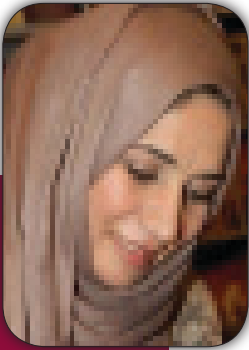
- 11- Brady, V (1996) A study of loneliness in femals adolescents from vorced dissertation abstracts international 56 (11). 638 – 651.
- 12- Bernat. J. Ronfeldt. H. Calhoun. K. Arias. I. (1998) Prevalence of traumatic events and per traumatic predictors of posttraumatic stress symptoms in a non- clinical sample of college students journal of Traumatic stress. 11. 645 – 665.
- 13- Donald. F (2005). Personal. health. academic. and environmental predictors of stress for residence hall students. Journal of American College Health. 54. 1.15-24.
- 14- Hazel. N. Hammen. e Brennan. P. & Najman. j (2008). Early childhood adversity and adolescent depression: the mediating role of continued stress psychological Medicine. 38. 58-589.

مشكلة الإمامة في صدر الإسلام

د. هيفاء سليمان الإمام - العراق

رئيسة الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير
ورئيسة مجلة وميض الفكر للبحوث
أستاذة جامعية وصاحبة مكتبتين في البقاع - لبنان
h_imamomais@hotmail.com

ملخص



إن الفكر السياسي عند المسلمين بعد العصر الراشدي، كان يدور حول محورين رئيسيين صدرت عنهما كل الطروحات والأفكار والآراء السياسية والتي في كثير من الأحيان كانت السبب في اشتعال نار الفتن التي أدت إلى صراع دام بين أصحاب الدين الواحد عبر التاريخ الإسلامي. وقد تمثل المحور الأول بالنظرية الشيعية حول الإمامة، والتي تفرعت عنها بشكل أساسي الطروحات الإمامية والزيدية وبعض الفرق الأخرى. فيما تمثل المحور الثاني برؤية أهل السنة لهذه المسألة.

وأصبحت الطروحات تتحرك في الوسط الثقافي الواعي، أو في الوسط السياسي المسؤول على أساس السؤال: كيف نغلق باب الجدل في هذه المسألة الخلافية لتتجاوزها إلى عناصر الوحدة؟ أو على الأقل كيف نخفف من تأثيرها على الواقع الإسلامي لتبقى في دائرة جانبية أمام الدوائر الحيوية المؤلمة التي تفرض على العالم الإسلامي دون تمييز. ولمزيد من الإضاءة على موضوع الإمامة أو الخلافة، وما سببته من مشاكل عبر التاريخ الإسلامي كان هذا البحث.

الكلمات المفتاح: الخلافة، الشيعة، السنة، البيعة، السقيفة، الغدير

Summary

The political thought of the Muslims after the Rachidi era, was turning around two principal axes of which all propositions, ideas and political opinions have been given and in most of the times have been the reason of blowing seditions leading to a conflict among the members of one religion all along the Islamic history.

The first axis has been represented by the Shiite hypothesis about Imamate of which have branched mainly the propositions of Imamate troupe, Zaydi sect and other groups. And the other axis has been presented by the vision of Sunnah troupes.

The propositions have started moving in the aware cultural or the political responsible environment based on: How to close the way of argument regarding the Caliphate to overtake to union factors? Or how we decrease the impact of this case on Islamic reality to be in a separate circle beside the animated painful circles which are imposed on the Islamic world without a privileging. And for more highlighting on the issue and what it has caused of problems all along Islamic history, this research has been fulfilled.

إشكالية البحث

لذا لاحظنا بأن الفكر السياسي عند المسلمين بعد العصر الراشدي، كان يدور حول محورين رئيسيين صدرت عنهما كل الطروحات والأفكار والآراء السياسية والتي في كثير من الأحيان كانت السبب في اشتعال نار الفتن التي أدت إلى صراع دام بين أصحاب الدين الواحد عبر التاريخ الإسلامي. وقد تمثل المحور الأول بالنظرية الشيعية حول الإمامة، والتي تفرعت عنها بشكل أساسي الطروحات الإمامية والزيدية وبعض الفرق الأخرى.

فيما تمثل المحور الثاني برؤية أهل السنة لهذه المسألة. وأصبحت الطروحات تتحرك في الوسط الثقافي الواعي، أو في الوسط السياسي المسؤول على أساس السؤال: كيف نغلق باب الجدل في هذه المسألة الخلافية لتجاوزها إلى عناصر الوحدة؟

المقدمة

لقد وضع الرسول ﷺ أسس المجتمع الجديد، وأهم هذه الأسس وأولها بالإشارة بالنسبة للأنظمة السياسية، هو قيامها على أصول الدين، فالأنظمة السياسية في التاريخ الإسلامي كانت تتصف بأنها إسلامية أو بالأحرى دينية، ذلك لأن المسلمين كانوا يسترشدون بدينهم في أمور دنياهم^(١).

بعد وفاة النبي ﷺ اجتمع الصحابة وانتخبوا خليفة لهم وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، قام بإعادة توحيد كلمة المسلمين بعد أن كادوا يتفرقون بسبب الخلاف. إلا أن هذه الوحدة أخذت تتزلزل في أواسط خلافة عثمان رضي الله عنه، فأنشأت بين المسلمين مشادات ومنازعات وحروباً لا تحصى^(٢).

(١) أحمد محمود صبحي، نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثنا عشرية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ١٧.

(٢) منير العجلاني، عبقريات الإسلام في أصول الحكم، دار الكتاب الجديد، ط ١٩٦٥، ٢م، ص ١٠٤.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة الى العمل على التخفيف من تأثير الخلافات حول الإمامة أو الخلافة التي حدثت في بدايات التاريخ الإسلامي على الواقع الإسلامي لتبقى في دائرة جانبية أمام الدوائر الحيوية المؤلمة التي تفرض على العالم الإسلامي دون تمييز، لذلك يرى السيد محمد حسين فضل الله أن الحل ليس بأن نلغي المذهبيات بل الحل هو أن تحوّل المذهبيات إلى حركة فكرية في ساحة الصراع في فهم الإسلام^(٢).

منهجية الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي حيث يتم عرض الأحداث التاريخية وتحليلها ووصف الوقائع بشكل موضوعي وتقديمها للقارئ دراسة علمية قابلة للنقد البناء.

أقسام الدراسة

تناولت الباحثة في هذه الدراسة مشكلات الخلافة ومراحل الاختلاف وأسبابها ونتائجها الهدامة عبر تاريخ صدر الإسلام، إذ كان أهمها العديد من المذاهب السياسية الإسلامية، تم عرضها والحديث عنها باختصار شديد، وكذلك عرض لمواضع الاختلافات الرئيسة عند هذه الفرق حول موضوع الإمامة. ثم عرض المصادر والمراجع والدراسات السابقة التي اعتمدت عليها في هذا البحث.

(٢) السيد محمد حسين فضل الله، كتاب الندوة. الجزء الخامس، إعداد عادل القاضي، دار الملاك، بيروت، ط١، ص ٢٩٢.

المشكلات حول الخلافة في صدر الإسلام

مراحل الاختلاف

إننا نلاحظ أن الوضع السياسي في المدينة عشية وفاة الرسول ﷺ كان على اتجاهين رئيسيين، تنافسا بصورة مباشرة أو خجولة في محاولتهما للسيطرة على الحكم^(٤). فبالرغم من أن المسلمين كانوا في عصر النبي ﷺ مجتمعين في مودة وألفة، أشداء على الكفار، رحماء بينهم، كما وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز. إلا أن بذور الخلاف كانت كامنة تحت الرماد وتتوزع بين اتجاهين رئيسيين:

كان أولهما الاتجاه الإسلامي الذي جسد النزعة الجماعية إذ كان امتداداً طبيعياً لما يسمى بـ«الجماعة الإسلامية» والتي كانت تشكل جمهور الدولة الأولى، وكانت تعبر عن مصالح الفئات المتوسطة والمحدودة الدخل، وقد تحسنت أوضاعها الحياتية بشكل جذري في المجتمع الجديد. وكانت تمثل هذا الاتجاه مجموعة نخبية لها مكانة لافتة في تاريخ الدعوة، لذا كان لها الثقل المعنوي في سياسة المدينة وتطوراتها. وكان منها علي بن أبي طالب إذ توجهت الأنظار إليه اعتقاداً بأن الخلافة آيلة إليه^(٥).

أما الاتجاه الثاني فكان اتجاهاً قبلياً قرشياً^(٦)، وكان يتكون من تحالفات مصلحة بين كبار التجار الذين كانوا يسيطرون على الاقتصاد قبل الإسلام وكان أبو سفيان واجهة لهم، وقد تصدى هذا الاتجاه بكل قوته للإسلام وعياً لحلفاءه لضرب دولته في المدينة، ولكنه وبعد معركة الخندق لم يجد بداً من التسليم بالأمر الواقع وفتح أبواب مكة أمام الرسول ﷺ ودينه. وقد نجح بما لديه من خبرة وعلاقات

(٤) سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية، دار الأوائل، ط٧، ٢٠٠٩، ص ١٩.

(٥) إبراهيم بيضون، من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، دار النهضة العربية، بيروت، ص ١٥.

(٦) سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية، ص ٢٨.

واسعة في أمور السياسة من الوصول إلى مواقع النفوذ بعد وقت قصير من الفتح.

وبعد وفاة الرسول ﷺ تحمس أبو سفيان لعلي ﷺ أشد الحماس ظناً منه أنه سيكون الخليفة لرسول الله ﷺ ولكنه سرعان ما تحول نحو أبي بكر ﷺ^(٧). كان لأبنائه الدور البارز في الدولة الراشدية وسرعان ما انقلبوا عليها منتهزين كل الفرص السانحة لتحقيق مشروعاتهم السلطوية الخاص، وكان ذلك بعد انتصارهم في موقعة الحرة^(٨). وسنعرض الآن ما حصل عندما توفي رسول الله ﷺ وكيف اختلفت الأمة وتشتتت الكلمة فصار الناس على أربع فرق هم: فرقة الأنصار أصحاب السقيفة، وفرقة المهاجرين الذين بايعوا أبا بكر ﷺ، والفرقة الثالثة شكلوا بني هاشم الذين اجتمعوا في منزل فاطمة مع علي بن أبي طالب ﷺ. وفرقة رابعة هي العرب الذين امتنعوا عن دفع الزكاة^(٩) إلى عمال أبي بكر ﷺ. وهذه كانت أول فرقة حدثت في الإسلام، ولم يدم هذا الخلاف طويلاً. فإن المهاجرين انتصروا في إقناع الأنصار بأحقية أبي بكر ﷺ^(١٠)، وتمت بيعته بالخلافة في السقيفة وذلك بإجماع كل الحاضرين. وهذا التجاوز للخلاف حدث بسبب قوة إيمان الأنصار وإن استثنينا منهم رجلاً هو سعد بن عبادَةَ ﷺ.

أما الرأي الثالث وهو رأي بني هاشم من قريش فقد أخذ الخلاف في مدة حكم أبي بكر وعمر وأثير في خلافة عثمان ﷺ وذلك لأن شخصية أبي بكر وعادلة عمر وحزمه، كان لهما الأثر الكبير في منع الفتن من أن تظهر والخلافات من أن تتبثق^(١١). فضلاً

عن انشغال المسلمين في الفتوح والجهاد والتعاون من أجل توسيع رقعة الحكم الإسلامي ونشر الدين في كل أنحاء العالم، وكل هذه الأهداف السامية حالت دون ظهور الخلافات الداخلية. حتى جاءت الفتن في أواخر عهد عثمان ﷺ وابتدأت بعد مقتله الذي كان السبب في حرب إسلامية - إسلامية^(١٢).

وقبل الخوض في هذه الخلافات وبيان أسبابها، لا بد أن نعرض طرائق انعقاد الإمامة لكل من الخلفاء الراشدين حيث تمت بثلاثة مسالك مختلفة:

المسلك الأول هو تنصيب أبي بكر الصديق ﷺ على الخلافة في سقيفة بني ساعدة^(١٣) حيث حصل الانتخاب المباشر من المسلمين وبشكل سريع اتقاء للفتنة التي كادت تهدد الكيان وذلك بسبب عدم ورود نص واضح من قبل النبي ﷺ في من يخلفه من المسلمين بعد وفاته^(١٤). وكأنما أراد بذلك أن يترك الأمر شورى بين المسلمين ليختاروا من يصلح لاعتلاء منصب الخلافة جرياً على عادة النظام القبلي الذي ألفه العرب، وبخاصة أنه لم يخلف ولداً ذكراً يستخلفه من بعده. لذا كان اجتماع الأنصار للتباحث في أمر الخلافة، وقد رشحوا سعد بن عبادَةَ ﷺ زعيم الخزرج ليتولى أمر المسلمين^(١٥). وعندما بلغ مسمع أبي بكر وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) خبر اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة مضيا إلى هناك مسرعين بسبب أهمية وخطر الموضوع المطروح من مشكلة الحكم، والتقيا

(١٢) صبحي الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين-بيروت، ط٢، جمادى الآخرة ١٣٧٧هـ- ١٩٦٨م. ص ٨٧.

(١٣) للتوسع انظر إبراهيم بيضون، المرجع نفسه، ص ١٩.
(١٤) محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ص ٦٧.
(١٥) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر ١٩٦٠م، ج ٤، و ج ٢، ص ٢٠٠.

(٧) إبراهيم بيضون، المرجع نفسه، ص ١٧.
(٨) إبراهيم بيضون، المرجع نفسه، ص ١٦.
(٩) إبراهيم بيضون، المرجع نفسه، ص ٢٥.
(١٠) الشهرستاني، أبو الفتح محمد عبد الكريم: الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز الوكيل، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ص ١٤.
(١١) سعد رستم، المرجع نفسه ص ٢٦.

في طريقهما أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه فأخذه معهما وشق أبو بكر رضي الله عنه طريقه إلى صدر المجتمعين، وخطب فيهم مبيناً رأي المهاجرين في مشكلة اختيار خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد أجمعت الروايات التاريخية على أن كلمة المسلمين قد أجمعت على أن يكون أبو بكر رضي الله عنه أول خليفة للنبي، فهو خليفته في الصلاة، ومؤنسه في الفار، وصاحبه في الهجرة، فضلاً عن شدة إيمانه وسمو أخلاقه، وتضحيته في سبيل الله صلى الله عليه وسلم. وفي ٢٢ جمادى الآخرة عام ١٢هـ/٢٣ آب ٦٣٤م توفي أبو بكر رضي الله عنه إثر إصابته بالحمى، وهو ابن ثلاث وستين سنة، ودفن في بيت عائشة بجانب قبر النبي صلى الله عليه وسلم. لقد كانت الحجة الأقوى للذين اختاروا أبا بكر رضي الله عنه قولهم في السقيفة: (كيف لا نرضاه لديننا وقد رضىه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا) وذلك في إشارة إلى آخر صلاة في حياة النبي كان قد أم بها أبو بكر رضي الله عنه بناءً على رغبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلبيةً لأمره حين قال: (مروا أبا بكر أن يصلي بالناس).

أما المسلك الثاني في انتخاب الخليفة، كان طريقة استخلاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ إذ اختاره أولاً أبو بكر رضي الله عنه -وهذه طريقة العهد- بعد أن استشار كبار الصحابة وعامة المسلمين، وعهد إليه بها، ثم أخذت له البيعة من عامة المسلمين بعد وفاته، وتم ذلك دون مناقشة، بسبب الثقة الكبيرة في حزم وعدالة وقوة عمر رضي الله عنه. وكان أبو بكر رضي الله عنه أول من عهد بالخلافة من بعده إلى رجل معين ونصب خليفة بمقتضى ذلك ^(١٨). وفي فجر يوم الأربعاء (لأربع بقين من ذي الحجة عام ٢٣هـ/أوائل تشرين الثاني ٦٤٤م، دخل المسجد ليؤم بالصلاة وإذ برجل يجلس بجانبه وهو أبو لؤلؤة فيروز يأخذ خنجره المسموم ويضعه

عدة طعنات. توفي عمر رضي الله عنه على أثرها بعد ثلاثة أيام، ودفن بجوار قبر أبي بكر رضي الله عنه والذي يلي قبر النبي صلى الله عليه وسلم ^(١٩).

والمسلك الثالث هو طريقة عمر رضي الله عنه في الاستخلاف، إذ رشح للخلافة ستة أنفار من خيرة الصحابة وطلب منهم أن يختاروا أحدهم، وذلك خلال ثلاثة أيام بعد وفاته ^(٢٠)، وهذا الأمر حصل وهو يحتضر ^(٢١). وقد كان يريد بهذا المسلك العودة إلى نظام الانتخاب والشورى. وهؤلاء الستة هم: علي بن أبي طالب رضي الله عنه من بني عبد المطلب، وعثمان بن عفان رضي الله عنه من بني أمية، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من بني زهرة، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من بني زهرة، والزبير بن العوام رضي الله عنه من بني أسد ^(٢٢)، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه من بني تيم وهم عشيرة أبي بكر رضي الله عنه ^(٢٣). وكان عمر رضي الله عنه قد أشرك ابنه عبد الله رضي الله عنه على أن لا يكون له من الأمر شيء، وخصه بمهمة الاختيار من بين أعضاء المجلس في حالة تساوي عددهم بعد التصويت، مشروطاً بقبول مختلف الأطراف بذلك، مانحاً إياه سلطةً تحكيمية غير أنه اختفى فيما بعد عن مجرى الأحداث ^(٢٤).

قام مجلس الشورى باجتماعه الأول، بناءً على رغبة عمر رضي الله عنه قبل وفاته، إلا أنهم لم يتوصلوا إلى انتخاب خليفة للمسلمين. وعادوا بعد وفاته وعقدوا اجتماعهم الثاني ^(٢٥). وبعد كرفر في عدم الوصول إلى اتفاق، قام عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بمبادرة الانسحاب من مجال الاختيار للخلافة، ولكنه طلب أن

(١٩) الطبري: المصدر نفسه، ص ١٩٠-١٩٤.

(٢٠) صبحي الصالح، المرجع نفسه، ص ٩٠.

(٢١) وهو أبو لؤلؤة المجوسي، كان خادماً المغيرة بن شعبة، إبراهيم بيضون، المرجع نفسه، ص ٩٧.

(٢٢) صبحي الصالح، المرجع نفسه، ص ٢٦٢.

(٢٣) محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص ٩٤.

(٢٤) محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص ٩٤-٩٥.

(٢٥) الطبري، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٢٩.

(١٦) محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه ص ٦٨.

(١٧) محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص ٨١-٨٢.

(١٨) محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص ٨٢.

يكون له حق اختيار الخليفة المقبل بنفسه، وأعطاهم عهداً بالعدالة الكاملة في الاختيار وأقسم على ذلك. وبعد ذلك انحصر الاختيار بين علي وعثمان، أشار عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إلى معرفة رأي الأمة، فاستشار مختلف فئات المجتمع، فأشارت عليه الأكثرية باختيار عثمان رضي الله عنه. ويبدو أنه كان لبني أمية الدور الدعائي الكبير لترجيح انتخاب عثمان رضي الله عنه بهدف تعزيز نفوذهم الذي فقدوه بعد فتح مكة ^(٢٦). واشترط على الرجلين العمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخليفين من بعده، وتجنب حمل الأقارب على رقاب الناس. فقبل عثمان رضي الله عنه ورفض علي رضي الله عنه متعللاً بأنه سوف يبذل جهده، مما دفع بعبد الرحمن وأصحاب الشورى وعامة الناس إلى اختيار عثمان رضي الله عنه.

والواقع أنه كان يتنازع الساحة السياسية آنذاك تياران: الأول كان ذا ارتباط بروابط الدم بين عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم والأقربين الذين كان علي رضي الله عنه مرشحهم، وقد كان لهم السابقة في الإسلام. والتيار الثاني: كان قرشياً متصلاً بالقابلية على التمثيل الأفضل لقريش وبالتالي مقرب من الأمويين وكان مرشحهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ^(٢٧).

اختار هؤلاء الستة عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي رشحوه، وقامت عامة المسلمين بمبايعته. وكان من المسلمين فريقٌ بايعه وفي نفسه شيء، ولكنه وافق على هذه البيعة، على مضض، منعاً للاختلاف بين المسلمين. وذلك لأن عمر رضي الله عنه كان قد استبعد الأنصار من الخلافة بالرغم من مآثرهم واستحقاقهم. والراجح أن سبب ذلك هو أن الأمر كان يتعلق بقريشيين بارزين منذ أيام أبي بكر رضي الله عنه.

ونتيجة لذلك تفاوتت ردود الفعل على نتائج مجلس الشورى بين التأييد والرفض. فقد عارضها عدد من الصحابة لاعتقادهم بأن اختيار عثمان يعد تجاوزاً لأحقية علي في الخلافة، ولذلك حفلت الروايات التي استعرضت مواقفهم بالإسقاطات الشيعية والعباسية الواضحة. وهذه الشخصيات المعارضة أمثال العباس بن عبد المطلب، والمقداد بن عمرو، وأبي ذر الغفاري، وعمار بن ياسر (رضي الله عنهم) سيكون لها الدور البارز في الفتنة من خلال معارضتها الصارمة لسياسة عثمان رضي الله عنه ^(٢٨). وبالمقابل كان هناك عدد من الصحابة يؤيدون قرار مجلس الشورى بمبايعة عثمان رضي الله عنه، مع التباين في أسباب هذا التأييد. وكان منهم المغيرة بن شعبة وأقارب عثمان مثل عبد الله بن أبي ربيعة وعبد الله بن أبي سرح ^(٢٩). وعلى هذا النحو تمت بيعة عثمان في الليلة الباقية من شهر ذي الحجة سنة ٢٣هـ/ ٥ تشرين الثاني سنة ٦٤٤م ^(٣٠).

وفي عهد عثمان رضي الله عنه، ابتدأ الخلاف قوياً وحاداً بين المسلمين وبدأت الفتن، وكانت الخطوة الأولى للافتراق السياسي بين المسلمين، وكذلك الخطوة الأولى لتكوين المذاهب السياسية الأولى التي ما زالت تحمل بذور الخلاف إلى يومنا هذا.

أسباب الخلافات والفتن ^(٣١)

وقد انقسم عهد عثمان رضي الله عنه الممتد اثنا عشر عاماً بين مرحلتين كل منها ست سنوات، فالمرحلة الأولى كانت هادئة والمرحلة الثانية كانت مضطربة يملأها التوتر والفتن حتى وصلت إلى مقتله. فقد تراكمت الوقائع الصغيرة واتخذت اتجاهاً ومعنى وأضحت غير قابلة للتسامح ^(٣٢).

(٢٨) سعد رستم، المرجع نفسه، ص ٣٢-٣٥.

(٢٩) الطبري، المصدر نفسه، ج ٤ ص ٢٢٣.

(٣٠) محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص ٩٦.

(٣١) صبحي الصالح، المرجع نفسه، ص ٩١.

(٣٢) محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص ٩٧.

(٢٦) عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ الإسلام، نشر مركز

دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٦٠، ص ٥٠.

(٢٧) محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص ٩٥.

ومن أهم أسباب هذه الفتن في عهد عثمان رضي الله عنه ^(٣٢):

إن أول هذه الأسباب هو سماحه لكبار المهاجرين والمجاهدين الأولين بالذهاب إلى الأمصار، وكان عمر رضي الله عنه قد منعهم من ذلك إلا لولاية أو لقيادة جيش كي يستفيد من نفعهم في المدينة، ولمنع افتتان الناس بهم خاصة وأن بعضهم كان حديث العهد بالكفر ولم تشرب قلوبهم حب الإسلام، فكان فيهم من يدعو إلى الفتنة وفي غيرهم سماعون لهم.

والسبب الثاني الذي جعل هذه الفتن تنفجر في عهد عثمان رضي الله عنه كان حبه لقربائه حيث ولاهم وقربهم وكان يخلصهم بالاستشارة في شؤون الدولة، وفي بعض الأحيان لم يكونوا أهلاً لذلك، ويستبعد من الاستشارة الصحابة، أمثال علي وطلحة وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وهؤلاء كان عمر وأبو بكر رضي الله عنهما يستشيرونهم في كل أمور الدولة. وكان أقاربه الأمويون يحرضونه دائماً على عدم السماع للومة لائم وذلك لضمان استمرار القبض على ناصية الحكم. هذا ما ألب الناس عليه وجاؤوا إليه من مصر والكوفة فاستعان بعلي رضي الله عنه على هذا الأمر فتصح به بأن يكلمهم بما يريدون أن يسمعه. فتكلم إليهم بما نصحه علي، فرق له الناس وبكوا وارتدت القلوب الشاردة وكادت نوازع الشر تموت لولا تدخل مروان بن الحكم الذي أخذ يلومه على الضعف والاعتراف بأخطائه ^(٣٤)، وكان الناس ما زالوا في باب عثمان رضي الله عنه، فخرج إليهم مروان وكلمهم بفضاضة وتوعدهم بالحرب للدفاع عن ملك الأمويين وعدم تركه. وهذا الأمر أعاد البغض إلى قلوب الناس. خاصة وأن هناك من أقاربه من كان عدواً له حيث قام بإثارة الفتن عليه مثل عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي ولاه عثمان رضي الله عنه بعد عمرو بن العاص رضي الله عنه، وأخذ يحرض الناس عليه وكان السبب في محاصرته من قبل المصريين وبالتالي

قتله. وكل هذه الأمور أفقدت الناس الثقة به، وفتحت الباب واسعاً أمام الفتن ^(٣٥).

السبب الثالث هو اللين وعدم الحزم مع عماله في الأمصار، خاصة وأن هؤلاء لم يكونوا أولي عدل مما حرض الناس عليه وعلى ولاته، كما أنه لم يستعمل الشدة مع من حاصره وأثار الفتن في المدينة وذلك منعاً للقتل والقتال وحققاً لدماء المسلمين ^(٣٦).

السبب الرابع الذي يعد أهم وأعظم الأسباب هو وجود طوائف من الناقمين على الإسلام والذين يكيدون لأهله ويعيشون في ظله إذ دخلوا في الإسلام ظاهراً وأضمرُوا الكفر باطناً وأخذوا يشيعون الفتن ضد عثمان رضي الله عنه ويمتدحون علياً رضي الله عنه، وأهم هؤلاء كان عبد الله بن سبأ وهو من أصل يهودي أخذ يدور بالأمصار من بلد إلى بلد يبيت أفكاراً كافرة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعن علي وعن عدم أحقية عثمان بالخلافة فافسد كثيراً في عقول الناس ^(٣٧).

وتضافرت هذه الأسباب إلى أن أدت إلى مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه من قبل الحاقدين على حكمه. (في ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥هـ/ ١٧ حزيران ٦٥٦م)، وحين علم علي رضي الله عنه بخبر مقتله ذهب إلى بيته وأغلق الباب على نفسه فلحقه الناس وأخذوا يطالبونه بتولي أمور المسلمين وبإيعوه على ذلك ^(٣٨). وفر الأمويون من المدينة عقب حادثة مقتل عثمان رضي الله عنه، كما غادرها أكثر الصحابة، وهرع من بقي فيها إلى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه لمبايعته بالخلافة، إذ لا يمكن أن تبقى الأمة بلا خليفة خاصة في هذه الظروف الخطيرة، ورغم أن علياً رضي الله عنه قبل مكرهاً تولي منصب الخلافة خشية منه على الدين من الفتنة والتمزق، إلا أنه اشترط أن تكون البيعة علنية في المسجد، وعلى رضا من عامة المسلمين وبخاصة أهل الشورى وأهل

(٣٥) صبحي الصالح، المرجع نفسه، ص ٩٢.

(٣٦) صبحي الصالح، المرجع نفسه، ص ٩٢.

(٣٧) صبحي الصالح، المرجع نفسه، ص ٩٣-٩٤ و٢٦٤-٢٦٥.

(٣٨) إبراهيم بيضون، المرجع نفسه، ص ١١٧-١١٨.

(٣٢) إبراهيم بيضون، المرجع نفسه، ص ١٠٢-١١٣.

(٣٤) إبراهيم بيضون، المرجع نفسه، ص ١١١.

بدر^(٣٩). وكان هذا القبول للولاية معاكساً تماماً لما كان يريده علي عليه السلام، وقدم أكبر خدمة لصناع الفتنة آنذاك، ففي عهده ازدادت الفتن وحدثت الحروب الدامية بين المسلمين وذلك بسبب رفض الأمويين المبايعة له واخذوا يطالبونه بدم عثمان عليه السلام. وكان أول من ثار عليه طلحة والزبير اللذان بايعاه بالخلافة ثم نكثا البيعة، واستعاناً بعائشة زوجة الرسول صلى الله عليه وآله ودارت حرب بين الفريقين انتهت بانتصار علي عليه السلام عليهم حيث أعادهم إلى صفوف المسلمين^(٤٠).

أما أهل الشام فلم يبايعوا علياً عليه السلام، بل بايعوا معاوية بن أبي سفيان عليه السلام^(٤١) الذي حمل قميص عثمان المملوح بالدماء وأخذ يحقن الناس وأعلن الحرب على علي. وفي أثناء المعركة، حين وجد معاوية أن النصر قد لاح إلى جانب علي، لجأ إلى حيلة إذ أمر الجنود برفع المصاحف على رؤوس الحراب، وأخذوا ينادون بالتحكيم للقرآن. وهنا وافق علي بعد أن رأى أن عدم الموافقة ستثير قواده ضده، وكانت نتيجة التحكيم لصالح معاوية^(٤٢)، وهنا قام الخوارج في وجه علي^(٤٣) وأعلنوا تكفيره بسبب هذا التحكيم، وقالوا بأن الحكم هو لله وحده. وهذه كلمة حق أريد بها باطل لأنهم هم الذين حرضوه في بادئ الأمر على التحكيم ثم عادوا وانقلبوا عليه^(٤٤).

وروي عن علي بن أبي طالب أن أحد المنافقين سأله يوماً عن سبب عدم الإجماع عليه في تولي الخلافة، بينما كان هذا حاصل لأبي بكر وعمر قبله، فأجابه بظرافة، بأن الله سبحانه وتعالى وفق أبا بكر

وعمر لأنه ممنوع من الصرف (رضي الله عنهما) برجال أمثالي، أما أنا فابتليت برجال أمثالك.

وما زال الخلاف محتدماً بين علي ومعاوية، حتى قتل علي على يد عبد الرحمن بن ملجم، وهو أحد الخوارج في رمضان سنة ٤٠هـ/كانون الثاني ٦٦١م^(٤٥).

وبعد وفاة علي عليه السلام، خلفه ابنه الحسن عليه السلام بإمامة المسلمين الذي قام بالتنازل عنها لمعاوية عليه السلام^(٤٦) مشروطاً عليه بأن يحكم بما أنزل الله. واستمرت النزاعات والفتن بعد الحسن، إلى أن جاء أخوه الحسين عليه السلام، وكان معاوية قد عهد بالخلافة لابنه يزيد الماجن الفاسد الذي لا يصلح لإدارة شؤون الأمة. وهنا رفض الحسين مبايعته، فلجأ يزيد إلى محاربتة وقتله في كربلاء، وقام باضطهاد أتباعه. وفي ظل هذه الفتن نما وترعرع المذهب الشيعي، وإن كان البعض يقول بأن الخلاف له جذور تمتد إلى وقت وفاة النبي صلى الله عليه وآله، إلا أن الظلم الذي لقيه الحسين بن علي عليه السلام وأتباعه على يد يزيد هو المسؤول الأول عن انثلام الجسم الإسلامي إلى فرق. فتلاحظ هنا، بأن عهد الخليفة الثالث قد أنتج الشيعة والخوارج وهما متعارضان. ولكن بقي هناك من أخذ خط الاعتدال وسموا في التاريخ الإسلامي بأهل السنة وسنأتي على ذكر هذه المذاهب فيما بعد.

نتائج الخلافات والفتن

من أهم نتائج الخلافات والفتن والتي كان محورها الأساسي الخلافة أو الإمامة أو إمارة المؤمنين لا فرق، المهم هو ما أنتجته هذه المشادات والنزاعات من فرق سياسية متناقضة ومذاهب إسلامية أحاطت نفسها بخنادق عميقة يستعملها أعداء الإسلام على مر العصور ومتى شأؤوا لتحقيق أهدافهم الاستغلالية الهدامة. ورغم هذا فلا بد

(٣٩) محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص ١٠٥.

(٤٠) محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص ١٠٦-١٠٨.

(٤١) سعد رستم، المرجع نفسه، ص ٢٨.

(٤٢) سعد رستم، المرجع نفسه، ص ٣٩.

(٤٣) الطبري، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٧٢.

(٤٤) الإمام علي بن أبي طالب، كتاب نهج البلاغة من ١-٤ أجزاء، جمع العامة الشري الرضي، شرحه وضبطه الإمام محمد عبده، مؤسسة المعارف بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، بإشراف الدكتورين عبدالله أنيس الطباع، وعمر أنيس الطباع، حديث ١٨٢، ص ٤٣٥.

(٤٥) محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص ١١٠.

(٤٦) سعد رستم، المرجع نفسه، ص ٦٣.

لنا من عرض هذه المذاهب السياسية الإسلامية وآرائها. إلا أنه يجب التنبيه قبل البدء بأن المذاهب الإسلامية قد ابتدأت سياسية وتنزع منزعاً سياسياً ولكن طبيعة السياسة الإسلامية هي ذات صلة وثيقة بالدين فهو قوامها ولبها لذلك كانت تدور في مبادئها وآرائها حول الدين فتقترب منه حيناً وتبتعد عنه أحياناً. ومن أهم هذه المذاهب والتي هي أساسية ورئيسية في انقسام المسلمين، والتي أول ما ظهرت في عهد عثمان رضي الله عنه، وكبرت وتبلورت في عهد علي رضي الله عنه.

هذه المذاهب الثلاثة هي: الشيعة والخوارج وأهل السنة وقد تفرع عن هذه المذاهب فرق عدة ذات آراء متناقضة أحياناً، فهي تميل صوب المغالاة في كثير من الحالات. وهنا سنعرض وبشكل مختصر آراء الفرق الرئيسية حول الإمامة ^(٤٧)، وبعض نقاط الاختلاف بينها.

الشيعة: وهم أقدم المذاهب السياسية الإسلامية وقد ظهوروا في عهد عثمان رضي الله عنه ^(٤٨) ونموا في عهد علي رضي الله عنه ^(٤٩)، وذلك بسبب إعجابهم الشديد بدينه وعلمه وحكمته ^(٥٠)، فكان الدعاة ينشرون آراءهم به ما بين الاعتدال والمغالاة ^(٥١). وهنا يذكر العلامة صبحي الصالح في كتابه النظم الإسلامية أنه لا فروق جوهرية بين أهل السنة ومعتدلي الشيعة، ولو أن كلا الطرفين عقل لأمكنهم أن يمحووا هذه الفوارق مع الأيام ^(٥٢).

فبسبب كثرة نزول الأذى بعلي رضي الله عنه وأولاده، تعاطف الناس معهم واتسع نطاق هذا المذهب وكثر أنصاره وذلك لأن هؤلاء هم أحفاد الرسول وذريته. وقوام

هذا المذهب هو أحقية علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٥٣) وذلك لأن الإمامة عندهم ليست من مصالح العامة ولا يجوز أن يكون النبي قد فوضها إلى الأمة بل كان من الممكن تعيين إمام لهم، ويجب أن يكون هذا الإمام معصوماً من الكبائر والصغائر. كما يجب أن يكون حجة وتظهر على يده معجزة، يقولون إن هذا متوفر في الإمام علي رضي الله عنه ويؤيدون أفكارهم بعدة أحاديث سبق ذكرها حول هذا الموضوع وغيرها مثل: «حربك حربي وسلمك سلمي» ومثل «اللهم والي من والاه وعاد من عاداه». وقوله «لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق» ^(٥٤). إذاً على الأمة اعتماد النص في اختيار الإمام، وبحسب قولهم بأن علياً رضي الله عنه هو المنصوص عليه ومن بعده أولاده، وذلك لأنه الأفضل بين الصحابة. وقد ساعدتهم في هذا الرأي كثير من الصحابة.

ولم تكن الشيعة على درجة واحدة بالنظر إلى علي رضي الله عنه فمنهم من غالى كثيراً في حبه إلى درجة التآليه والتقدیس وتقضيله على النبي صلى الله عليه وسلم. وهؤلاء كان يبت أفكارهم ويسمها من هم منافقون ويتسترون بالإسلام أمثال عبد الله بن سبأ الذي سبق الحديث عنه ومنه انبثقت السبئية. ولكن أكثر الشيعة هم المعتدلون الذين يكتفون بتفضيل علي رضي الله عنه على الصحابة وبيقونه في منزلة البشر دون التقديس. وقد ورد في شرح نهج البلاغة ^(٥٥) لابن أبي الحديد ما يشير إلى أن هؤلاء المعتدلين قالوا إن علياً رضي الله عنه أفضل الخلق في الآخرة دون المساس بالمهاجرين والصحابة الذين أتوا قبل علي وذلك لأنه كان معهم في السراء والضراء وأحبهم ورضي بإمامتهم وصلى خلفهم وأتمر بأوامرهم ولم ينكرهم، كذلك فعل

(٤٧) سعد رستم، المرجع نفسه، ص ٥١.

(٤٨) صبحي الصالح، المرجع نفسه، ص ٩٦.

(٤٩) سعد رستم، المرجع نفسه، ص ٤٢.

(٥٠) صبحي الصالح، المرجع نفسه، ص ٩٧.

(٥١) صبحي الصالح، المرجع نفسه، ص ١٠٧ و ١١٤.

(٥٢) صبحي الصالح، المرجع نفسه، ص ٩٧.

(٥٣) سعد رستم، المرجع نفسه، ص ٢٠٩.

(٥٤) صبحي الصالح، المرجع نفسه، ص ٩٨.

(٥٥) ابن أبي الحديد، توفي ٥٤٤هـ، شرح نهج البلاغة، ج ١، القاهرة، ١٣٢٩هـ، ص ٦٤.

الشيعة المعتدلون، ولكن حين تعرض الإمام لأذى معاوية نكروه ولعنوه.

وهناك فرق تفرعت عن الشيعة منها معترف بها، ومنها من نكر الشيعة والمسلمون عامة انتماءها إلى الإسلام ومن هذه الفرق السبئية أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي الأصل، والغرابية التي تقول بأن شبه النبي ﷺ بعلي ﷺ ك شبه الغراب بالغراب لذلك أخطأ جبريل في إنزال الوحي! ثم الكيسانية والزبدية^(٥٦) والإمامية الإثنا عشرية والإمامية الإسماعيلية^(٥٧). وهاتان الفرقتان تشكلان معظم الشيعة اليوم تعبيري هذا يفهم بأن معظم الشيعة ممن ينكر انتماءهم إلى الإسلام اعيدي الصياغة للتعبير عن المقصود، ثم تأتي النصيرية وأخيراً الحاكمة الدروز. فالحاكمية هم من أله الحاكم بأمر الله الفاطمي، الذي أله نفسه ودعا الناس إلى عبادته. وهذه الفرقة قد غالت في معنى الإشراف الإلهي إذ يقولون بأن الإله يحل في نفس الإمام، وهؤلاء خلعوا الرتبة، وكانت السرية طريقتهم المفضلة وفي ظلها تفرخت آراؤهم الكافرة، وكانت هذه الآراء السبب في وجود الحاكمية.

والدروز على صلة وثيقة بالحاكمية وهم منتسبون إلى رجل فارسي اسمه حمزة الدرزى، وهو الذي كان يوسوس للحاكم بأمر الله بهذه الأفكار الشريرة. أين رقم الهامش؟

الخوارج^(٥٨): وقد نشأت هذه الفرقة في عهد علي بن أبي طالب ﷺ وقد قالوا بصحة خلافة أبي بكر وعمر لصحة انتخابهما^(٥٩)، وساندوا عثمان ﷺ في سنيته الأولى فلما غير وبدل أوجبوا عزله،

وأقروا بصحة خلافة علي^(٦٠)، وكانت واحدة من الفرق التي تشيعت له مع فرقة الشيعة إلا أن الشيعة أسبق منهم.

حارب الخوارج في جيش علي ضد معاوية وكان لهم رأي في التحكيم بدايةً، إذ أشاروا على علي باختيار أبي موسى الأشعري لينوب عنه في التحكيم، مقابل عمرو بن العاص من قبل معاوية ولما انتهى التحكيم وآلت الخلافة إلى معاوية رفضوا هذا الحل وتكروا لعلي بعد أن كانوا قد خرجوا على عثمان وبني أمية سابقاً، فسموا الخوارج لهذا السبب^(٦١).

وكانت عبارتهم المفضلة التي كانوا يواجهون عليها بها ويقطعون عليه صلاته وخطبه، هي أن الحكم لا يكون إلا لله وعلي قد كفر بموافقة على هذا التحكيم. وكانوا لا يثقون إلا بمن تنكر وتبرأ من عثمان وعلي وحكام بني أمية الظالمين وقد ناقشهم علي ورفض حربهم إلا حين تجاوزوا الحدود الشرعية وفعلوا فعل القتل فحاربهم على ذلك وليس على أفكارهم وآرائهم، كما ناقشهم عمر بن عبد العزيز ولكنه لم يتنكر لأجداده من حكام بني أمية فرفضوه أيضاً.

وأهم المبادئ التي تجمع فرق الخوارج الذين يتمسكون بظاهر النصوص ويكفرون من أخطأ من المسلمين ولو كان الخطأ بسيطاً، ومن الآراء التي يجتمع عليها الخوارج الآتي:

١- أن الخليفة أو الإمام لا تتعقد ولايته إلا بانتخاب حر وصريح يقوم به عامة المسلمين ويستمر خليفة ما دام قائماً بالعدل مقيماً للشرع مبتعداً عن أي خطأ وإلا فيجب عزله فوراً.

(٥٦) للتوسع في هذا الموضوع انظر صبحي الصالح، المرجع نفسه، ١١٧-١٢٩. سعد رستم، المرجع نفسه، ص ٢١١.

(٥٧) سعد رستم، المرجع نفسه، ص ٢١٠.

(٥٨) صبحي الصالح، المرجع نفسه، ص ١٢٠.

(٥٩) سعد رستم، المرجع نفسه، ص ٢٠٠.

(٦٠) سعد رستم، المرجع نفسه، ص ٢٠٠.

(٦١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٧ م، ج ٣، ص ١٩٨.

٢- ليست الخلافة في بيت من بيوت العرب دون غيره ولا فرق بين المسلمين، جاء في حديث للنبي ﷺ: «أن لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، أَلْبَغْتُ؟»^(٦٣)، ومنهم من قال أن الأفضل أن لا يكون له عشيرة وعصبية كي يسهل عزله أو قتله إن أخطأ.

٣- إن «النجدة» من الخوارج يرون أنه لا حاجة إلى إمام، إذا كان الناس متناصفين متصافين بينهم بإقامة الإمام ليست واجبة بل جائزة.

٤- يرى الخوارج بتكفيرهم أهل الذنوب دون الفرق بين ذنب وآخر، بل تشددوا إلى اعتبار الخطأ بالرأي ذنباً وقد اعتمدوا على ظواهر بعض النصوص القرآنية في تكفير الناس.

ويقال إن من أسباب تقشف وغلاظة أخلاق الخوارج هي أنهم من عرب البادية وللبيئة تأثيرها القوي على تفكيرهم وتعاملهم مع الآخرين. وكما في الشيعة فقد تفرع عن الخوارج عدة فرق هي: الأزارقة، والنجدة، والصفورية، والعجاردة والأباضية^(٦٣)، وهناك خوارج لا يعدون مسلمين كاليزيدية والميمونة.

مذهب أهل السنة: من هم أهل السنة؟ يبدو أن تسمية أهل السنة عند علماء المسلمين تطلق على كل من يلتزم السنة النبوية^(٦٤). كما أطلق عليهم اسم أهل السنة والجماعة، إذ إن الجماعة هم صحابة رسول الله ﷺ. ولعل المقصود بها جمهور المسلمين ممن لم ينتم إلى فرقة بعينها من الفرق التي جاءت عن طريق السنة. ونستطيع أن نقول بأن أهل السنة هم أصحاب الآراء المعتدلة^(٦٥) بين المتطرفين من

الفرق الأخرى. وقد أجمع أهل السنة على أربعة شروط مهمة للإمامة وذلك كي تسمى خلافة نبوية. وهذه الشروط هي: القرشية، والبيعة، والشورى والعدالة.

- الشرط الأول، القرشية: وهي أن يكون الإمام من قريش وذلك بسبب الآثار الكبيرة الواردة في فضل قريش. ولكن رغم الآثار الواردة في فضل قريش ورغم كل النصوص التي ترفع من شأنها وتميزها عن غيرها من العرب، لا تلزم القرشية للإمامة بقدر ما تلفت النظر إلى أهمية ومكانة قريش بين العرب وفي تحملها لمشقات ومآسي الدعوة الإسلامية. ففي اجتماع السقيفة اتجه المؤمنون إلى اختيار الخليفة من المهاجرين القرشيين لسببين: الأول هو أفضلية المهاجرين على الأنصار في اعتناق الإسلام وذكرهم أولاً في القرآن وبيان مقامهم في الصبر على البلاء والشدائد في بداية الدعوة الإسلامية. والثاني مكانة قريش السامية عند العرب قبل الإسلام. لذا قال أبو بكر ﷺ في آخر خطبته: «أن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من قريش».

ولكن بالرغم من هذا القول والأحاديث الشريفة الواردة عن النبي ﷺ، والتي سبق ذكرها في هذا البحث، فإن اختيار الخليفة أو الإمام كان من قريش بشرط أن يقيم الدين، وإن لا فيجوز أن يكون من غير قريش إذا التزم بهذا الشرط الهام في نظر أهل السنة، وكذلك يجب أن تجتمع فيه شروط الإمامة أي القيادة وهي القوة، والمنعة والتقوى. فالخلافة تكون حيث تكون هذه المعاني.

- الشرط الثاني في اختيار الإمام عند أهل السنة هو البيعة من قبل أهل الحل والعقد أولاً، ثم من قبل الأمة التي تتعهد للإمام على الطاعة له في المسرة والمضرة وهو بدوره يتعهد لهم بإقامة الحدود والفرائض ويسير على سنة العدل بحسب كتاب الله وسنة نبيه.

(٦٢) أحمد بن محمد بن حنبل، توفى ٢٤١هـ، كتاب المسند، مصر

سنة ١٣١٢هـ. جزء ٦، ص ٥٧٠، حديث (٢٣١٠٥).

(٦٣) انظر سعد رستم، المرجع نفسه، ص ٢٠٤-٢٠٨.

(٦٤) سعد رستم، المرجع نفسه، ص ٨٢.

(٦٥) سعد رستم، المرجع نفسه، ص ٨٦.

وقد أخذت البيعة عن النبي ﷺ، حيث بايعه الناس تحت الشجرة، ونزلت الآيات لتؤيد هذه البيعة. ثم بايع المسلمون أبا بكر ﷺ في سقيفة بني ساعدة، ثم عهد إلى عمر ﷺ فبايعه الناس على الإمامة الكبرى. وبعد ذلك بايعوا عثمان ﷺ في المدينة وذلك داخل المسجد النبوي، كما بايعوا علياً ﷺ أيضاً في المدينة. واستمر أمر البيعة حتى عصر الأمويين وأوائل العصر العباسي.

- الشرط الثالث، الشورى: من أهم شروط الإمامة عند أهل السنة هو أمر الشورى، إذ نزلت فيها آيات قرآنية مثل: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٦٦)، وكذلك قال تعالى أمراً للنبي ﷺ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٦٧). وكان النبي ﷺ يلتزم الشورى في كل أموره وأمور الدولة، وكذلك فعل صحابته من بعده.

ونستطيع أن نقول إن الحكم الإسلامي متلازم مع الشورى، فلا يجوز أن يفرض الحاكم وتقوم الشورى بعد ذلك. لهذا فإن الوراثة والشورى متناقضان ولا تجتمعان في باب واحد. ومن أشد ما أخذ على معاوية أنه حول الحكم الإسلامي إلى وراثي، وأبقى على البيعة التي فقدت معناها. وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ: «من بايع رجلاً بغير مشورة المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه». وهنا يتبادر إلى الذهن سؤالان، الأول من هم أهل الشورى في عهد الصحابة؟ والثاني إذا قام إمام من غير شورى فهل تجب طاعته إذا تمت الموافقة عليه؟ والجواب على السؤال الأول: إن الذين اختاروا أبا بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) هم من المهاجرين والأنصار الذين كانوا في المدينة، وكذلك الذين بايعوهم. وذلك بسبب عدم استقرار الدين

في باقي الأقطار المفتوحة ونلاحظ بأن موضوعاً من هذا النوع يمكن أن يثير فتنة كبيرة بين المسلمين، والدليل على ذلك حركة الردة التي حاربها أبو بكر ﷺ كانت من العرب الموجودين خارج مكة والمدينة.

وبقي المسلمون في المدينة ومكة حماة الدعوة ورعاتها. وفي عهد علي بن أبي طالب ﷺ كان العرب قد استقروا على الدين الإسلامي، ومع ذلك لم يأخذ البيعة إلا من أهل المدينة وذلك لانشغاله بالأحداث التي حصلت في بداية ولايته. خاصة وأن العصبية الجاهلية عادت لتنبعث من جديد. وحيث إنه يجب في حال البيعة أن يقوم بها كل من الموالى والعرب، فخاف علي من الفتنة واختصر أخذها على أهل المدينة دون غيرهم. وبالمقابل فإن معاوية لم يترك له مجالاً ولم يمهله فانتقض عليه وأخذ لنفسه البيعة في الشام، وأعلن الحرب على علي. وهكذا بدأت كل الاضطرابات والحروب التي سبق الحديث عنها، وانتهت بتولي معاوية الخلافة وهو بدوره نسخ أمر الشورى وجعل الحكم وراثياً في أبنائه، وفرض على الناس الأمر الواقع في اختيار الإمام الموجود أو بالأحرى الذي اختاره هو، مستعملاً شعرته المشهورة أي التعامل مع الناس باللين حيناً، وبالقوة أحياناً أخرى.

(٦٦) سورة الشورى، آية: ٣٨.

(٦٧) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

أما الجواب على السؤال الثاني وهو هل يطاع من تغلب على الحكم دون شوري؟ لقد أجمع الفقهاء على أن المتغلب على الحكم إذا لم يكن هناك إمام، وأقام الأخير العدل والدين بين الناس فتجب طاعته ومبايعته. ويرى الإمام مالك رحمه الله بحسب ما جاء في كتاب المدارك لابن نافع: أن أهل الحرمين إذا بايعوا أُلزمت البيعة أهل الإسلام. فالاختيار السابق على البيعة ليس بشرط بل إن البيعة نفسها ليست بشرط، يكفي الرضا على الإمام، والذي بدوره يقيم الحدود والعدل. وكذلك يرى الامام الشافعي رحمه الله الاكتفاء بالرضا اللاحق. والعبرة عند الشافعية هي القرشية وإقامة العدالة ورضا الناس سواء كان سابقاً أم لاحقاً. ويرى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله نفس الرأي وذلك أن الأهم هو القبول ورضا الناس إن كان بالسيف أو بغيره. وهنا نلاحظ أن جمهور الفقهاء رأوا أن المتغلب على السلطة يقر فيها إذا استوفى شروط الإمامة، وعلى رأس هذه الشروط العدالة وإقامة الدين، ويضاف إليها شرطان وهما، أولاً عدم وجود إمام عادل مرضي عنه بالأساس، والثاني أن يكون هناك فرصة للناس كي تختار وتنتخب وتعبر عن رأيها.

- والشرط الرابع هو العدالة^(٦٨): وصحيح أنها في هذا البحث أتت في الترتيب الرابع، إلا أنها من أهم الشروط لإقامة الإمامة عند جمهور أهل السنة، وذلك في جوهرها ولبها وهي تبدأ في الإمام حيث يجب أن يكون عادلاً بذاته وهنا قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٦٩).

وعدالة الإمام تفرض عليه وضع الرجل المناسب في المكان المناسب. كما أوجب الدين الإسلامي العدالة مع الأعداء، فقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٧٠). والعدالة الإسلامية تشمل العدالة القانونية التي تجعل كل الناس سواسية أمام القانون الإلهي، فلا فرق بين الحاكم والمحكوم. فقد شرع القرآن والسنة أن الإمام لا يعفى من الحد، إذا ارتكب ما يوجب، ولا من القصاص، إذا اعتدى على أحد، فلا حصانة في الإسلام للحاكم بل على العكس فهو أكثر مسؤولية أمام الله من الرعية. كما يشمل الإسلام العدالة الاجتماعية التي تنظم أسس التكامل الاجتماعي. ونلاحظ أن أركان الإسلام كلها تركز على المساواة والعدالة بين الناس؛ إذ ورد الكثير من الآيات والأحاديث التي تحض الناس على ذلك.

(٦٨) صبحي الصالح، المرجع نفسه، ص ١٦٠.

(٦٩) سورة النساء، آية: ١٣٥.

(٧٠) سورة المائدة، آية: ٨.

نستخلص من هذا البحث أن أهم ما اختلف عليه المسلمون حول الإمامة (الخلافة) يدور حول عدة محاور أو أقطاب، وهي:

أولاً: أيجوز إقامة خليفتين في وقت واحد، أم وحدة الخلافة؟

ثانياً: أيجب لا يجوز أن تأتي هل مع أم المعادلة أن يكون الإمام قرشياً أم يصح أن يكون من كل المسلمين شرط أن تتوافر فيه شروط الإمامة العامة؟

ثالثاً: أيجب أن يكون معصوماً عن الخطأ وذلك كونه لم يرتكب الأخطاء في حياته قط أم هذا غير ضروري؟

ولكل فرقة رأي في هذه الأمور وفي غيرها تتفق حيناً وتختلف أحياناً. كما أن الفرق الإسلامية قد اختلفت حول أمر الخلافة أتعقد بالنص أم بالاختيار، وكل فرقة لها طريقتها الخاصة في شروط اختيار الإمام. وكل هذه الأمور لم تكن في بادئ الأمر على شكل مذاهب ممنهجة، متنافرة كما هي الآن، وذلك لأن المذهب السياسي يجب أن يكون ذا منهاج علمي لفريق من الدارسين والباحثين يبنون فيه أصولاً متميزة وواضحة لتفكيرهم، ثم يكون لكل منهاج طائفة أو مدرسة تعتنق هذه الأصول وتدافع عنها. فهذه المناهج وهذه المذاهب أو الفرق لم تتكون عند أول خلاف بل أن الخلاف كان يبتدئ بسيطاً ثم تتبلور الأفكار المختلفة وتكون المذاهب.

بعد كل ما عرضناه من مسائل حول الإمامة والاختلاف بين الفرق الإسلامية التي تتراوح بين الحدة لدرجة الحرب وبين الاعتدال في الرأي أحياناً. ومع الظروف التي أوصلت هذا العالم الإسلامي إلى ما هو عليه الآن من تشرذم وضعف وقلة حيلة، يبدو أنه يجب أن ننطلق بعقلية أخرى، هي عقلية الباحث عن الحقيقة وذلك بتجرد كامل عبر الحوار المسؤول. وقد رأينا كيف أن الله سبحانه وتعالى علم رسوله ص أسلوب الحوار مع الآخر، قال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٧١). وتفسيرها أن النبي ﷺ لم يكن شاكاً في أنه على هدى، وأنهم على باطل، وهو الذي جاء بالحق المبين: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٧٢)، ولكن الله تعالى أراد من أسلوب الحوار أن توحى لمن تختلف معه أنك تريد أن تبحث القضية معه كما لو كنت شاكاً، وأن يبحث القضية معك كما لو كان شاكاً، والنتيجة هي أن تتوافقا -لا أن تتنافرا- في رحلة البحث عن الحقيقة، لا لأنك تريد أن تؤكد نفسك أو يريد هو أن يؤكد نفسه، وذلك منعاً لأي تعصب قد يصل بنا إلى حالة العنف والحرب لا محال.

(٧١) سورة: سبأ، آية: ٢٤.

(٧٢) سورة: الزمر، آية: ٣٣.

المصادر والمراجع

• المصادر

- القرآن الكريم.
- ابن أبي الحديد، توفي ٥٤٤هـ، شرح نهج البلاغة، ج ١، القاهرة، ١٣٢٩هـ.
- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- أحمد بن محمد بن حنبل، توفي ٢٤١هـ، كتاب المسند، مصر، سنة ١٣١٣هـ.
- الإمام علي بن أبي طالب، كتاب نهج البلاغة من ١-٤ أجزاء، جمع العامة الشريف الرضي، شرحه وضبطه الإمام محمد عبده، مؤسسة المعارف بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م بإشراف الدكتور عبد الله أنيس الطباع، والدكتور عمر أنيس الطباع.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد عبد الكريم: الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز الوكيل، مؤسسة الحلبي، القاهرة،
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر ١٩٦٠م، ج ٤.

• المراجع

- ابراهيم بيضون، من دولة عمر الى دولة عبد الملك، دار النهضة العربية، بيروت، سنة ١٩٩١م.
- أحمد محمود صبحي، نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثني عشرية، دار النهضة العربية، بيروت ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- السيد محمد حسين فضل الله، كتاب الندوة الجزء الخامس، إعداد عادل القاضي، دار الملاك، بيروت، ط١،
- سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية، دار الأواثل، دمشق، ط٧، ٢٠٠٩م.
- صبحي الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين-بيروت، ط٢، جمادى الآخرة ١٣٧٧هـ-١٩٦٨م.
- عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ الاسلام، نشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٦٠.
- محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- منير العجلاني، عبقرية الاسلام في أصول الحكم، دار الكتاب الجديد، ط٢، ١٩٦٥م.